المقتطف

الجزء العاشر من المجلد الثاني والثلاثين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٧ — الموافق ٢٣ شعبان سنة ١٣٢٥

اسابيا بلادينو

تابع ماقبلهُ

ذكرنا في الجزء الماضي خلاصة الاعمال التي عملتها اسابيا بلادينو وهي في حالة الاستهواء على ما يقال امام جماعة من العلماء وفي جملتهم الاستاذ بيو فوى والدكتور اميدو هرلتزكا والدكتور كارلو فوى والدكتور البرتو اغازوتي . . وقد عقب هؤلاء الدكاترة الثلاثة على ذلك بما حسبوا انهُ مفسر لهذه الاعمال الغريبة قالوا ما خلاصتهُ : —

لا بدَّ لنا قبل البحث في ما رأيناهُ من ان نزيل اعتراضاً يعترض بهِ دائمًا على مثل هذه الاعمال وهو ان الذين يساعدون فيها يكونون في حالة من الذهول تجعلهم يتوهَّمون انهم رأَوا وسمعوا ما لا وجود في غير اوهامهم . فان هذا ينقضهُ ان كثيرين من الذين شاهدوا مثل هذه الاعمال لم يقنعوا بصحتها . ثم ان الذين كانوا في جلستنا كانوا كلهم قاصدين اكتشاف الحقيقة وكانوا يتحدثون تحدُّثًا يمنع النعاس واستيلاء الوهم على النفوس

ولا ننكر ان بعض الناس المصابين بخللٍ في اعصابهم او الخاضعين لسلطة الوهم يُستهْوَون ويتصورون انهم رأَوا وسمعوا ما لا وجود لهُ الَّا في مخيلتهم ويتعذَّر علينا ان نقنع جميع الناس اننا لم نكن مصابين بهذا الخلل ولذلك نقصر بحثنا على الاعمال التي بقيت آثارها بعد انتهاء الجلسة ورأيناها في اليوم التالي على نور النهار وهي ممَّا يرى ويلمس ويستحيل ان يكون للوهم علاقة بها

ومن الاعتراضات التي يُعتَرض بها على صحة هذه الاعمال انها قد تعمل بالتواطيء بين الوسيط وغيرهِ من الحضور او من اصحاب المنزل بطريقة الخداع

ولا شبهة عندنا ان الوسيط يحاول خداع غيرهِ احياناً لكي يسرع الاعمال التي ينتظر عملها ولكن ذلك يحدث في بدء الجلسة حينما يكون الوسيط مستيقظاً عالماً بما يجري حولهُ. والامور التي يحاول مخادعة الحضور بها قليلة جدًّا . اما نحن فكنا قابضين على يدي اسابيا وواضعين قدميها بين اقدامنا حتى كان يتعذَّر عليها ان تخدعنا لو حاولت ذلك . وقد تركنا كل الاعمال التي يمكن ان يقع فيها الخداع ولم نلتفت اليها

ولكن اذا دبَّر الوسيط تدابير مخصوصة ليخدع بها المشاهدين كما يفعل المشعوذون فلا سبيل لاكتشاف خداعهِ ولا سيما اذا وُجد بين الحضور من يساعدهُ على ذلك خفيةً فلا بدَّ من ان يُفرَض وجود الخداع واذا ثبت وجودهُ في عمل واحد من اعمال الوسيط جاز ان يفرض وجودهُ في بقية الاعمال . اما نحن فلم يثبت لنا الخداع في اقل عمل من اعمال اسابيا ومع ذلك سنقتصر على النظر في الاعمال التي كان لنا السلطة التامة على البحث فيها وهي اربعة الآثار التي وجدناها على الآلة . وتكسر المائدة . ونزع اللوح الفوتوغرافي الذي كان مسمَّرًا في اسفلها . وآثار الاصابع على اللوح الفوتوغرافي

فالآثار التي وجدناها على الآلة تدلُّ على انهُ وقع عليها ضغط يساوي ٢٣ ليبرة كما تقدم وقد كانت الآلة على يسار الدكتور هرلتزكا وكان ممسكاً يمنى اسابيا بيسراهُ وكانت يمناهُ في يسرى جارهِ . وكان احدنا الدكتور كارلو فوى جالساً وراء الدكتور هرلتزكا يرقبهُ فلو ضغط الآلة على غير انتباه منهُ لرآهُ الدكتور فوى . ولقد كنا نرقب اسابيا ونرقب انفسنا والحضور حولنا ولم نرَ من احد اقل دلالة تدلُّ على انهُ ضغط الآلة ولا نعلم كيف مُزّق القماش الذي كان مغطياً لها ولا لماذا مُزّق وقد كنا نرى الآلة حينما وقع الضغط على غشائها

والمائدة كانت متينة وقد تكسَّرت امامنا ونزعت المسامير منها ولا محل للظن ان اسابيا كسَّرتها لاننا كنا ممسكين بيديها ولانها اضعف من ان تفعل ذلك . وقد شاهدنا المائدة تتكسَّر امام عيوننا ولم نرَ احداً يكسّرها

واللوح الذي كان مسمَّرًا تحت المائدة نزع من تحتها ووضع فوقها مع ان المشاهدين كانوا في حلقة متصلة والنور كافٍ حتى ترى المائدة من كل جهة والامر المؤكد ان اللوح انتقل من تحت المائدة الى ما فوقها وفقد مسماران من المسامير التي كان مسمَّرًا بها

واللوح الفوتوغرافي الذي كان ملفوفاً بورقة سوداء وقد امسكهُ الدكتور كارلو فوى فوق راس اسابيا وحاول شخص نزعهُ من يدهِ ظهر عليهِ بعد وضع المظهر الكيماوي آثار اربع اصابع وهذه الآثار لا يمكن ان تكون حدثت بالتصوير العادي والنور العادي لان اللوح

كان ملفوفاً بورق اسود لا ينفذهُ النور العادي فلا بدَّ من ان الذي نفذهُ واثَّر فيهِ هو من قبيل الإشعاع لا من قبيل الانارة . فإما ان يكون الاشعاع حدث من يد الدكتور فوى او من اسابيا فان كان من يد الدكتور فوى وجب ان تفعل يدهُ كذلك دائماً وهذا غير الواقع لانهُ يمارس صناعة التصوير ولم يرَ قط انهُ يشع من يديهِ اشعة تؤثر في الواح التصوير يبقى ان يديهِ شعتَّا اشعةً فعَّالة مدة الجلسة من اتصالهِ باسابيا ولكنهُ امسك ثلاثة الواح اخرى مدة الجلسة ولم تؤثر اصابعهُ فيها وهذا ينفي الظن ان يديهِ كانتا مدهونتين بمسحوق مُشع ولذلك لا يبقى الاَّ فرض من فرضين وهو اما ان الوسيط الذي ظهر اثَّر في اللوح او ان يد الدكتور فوى صار لها هذا التأثير مدة الجلسة من فعل الوسيط . والخلاصة ان وجود الاثر امر ظاهر لا شبهة فيهِ ولا بدَّ من ان يكون مسبباً عن الوسيط

وكل ما تقدَّم يدل على ان اسابيا تفعل بما حولها من غير ان تكون اعضاؤُها متصلة بهِ فاذا فرضنا ان كل ما سوى هذه الامور الاربعة فاسد او خداع تبقى هذه الامور وهي افعال حقيقيَّة لا شبهة فيها ولا تُفَسَّر بالخداع ولا بالتخيل ولا بالوهم

وافاض هؤُلاء الكتَّاب في الكلام على قلة ما نالهُ هذا الموضوع حتى الآن من البحث العلمي المدقق واظهروا اقتناعهم ان اعصاب اسابيا تكون وهي في هذه الحالة متصلة بقوة خارجة عنها فتؤَثر فيها وتجعلها تفعل الافعال التي مرَّ ذكرها . وذكروا تعليل اوسولد وهو ان كل الافعال التي يفعلها الوسطاء انما يفعلونها بقوة حيويَّة او روحيَّة تصدر منهم فلا تخلق قوة معدومة ولا تتلاشى قوة موجودة ولا داعي لفرض قوة خارجة عن الوسيط

وذكر الاستاذ مورسلي كل التعاليل التي عُلِّلت بها هذه الاعمال الغريبة من قديم الزمان الى الآن ومنها ما يأتي

التعليل الاول القوَّة الشيطانيَّة على ما قالهُ الاب فرنكو اليسوعي . وعقَّب الاستاذ مورسلي على ذلك بقولهِ ان قوَّة الشيطان يجب ان تكون قد ضعفت كثيراً حتى اكتفت بالافعال الطفيفة التي تفعلها اسابيا

الثاني اتصال نفس الوسيط بالقوة الروحيَّة الشاملة التي هي روح العالم وعملها هذه الاعمال بواسطتها

الثالث تركُّب الانسان من جسد مادي وجسد روحي ونفس خالدة . والجسد الروحي او الاثيري يشع حول الوسيط ويفعل الافعال المشار اليها

الرابع وجود قوى خفية غير معروفة حتى الآن كما كانت اشعة اكس موجودة ولكنها غير

معروفة فلما عرفت لم يعد احد يرتاب في وجودها فهذه القوى الخفيَّة تفعل الافعال المشار اليها

الخامس وجود عقول منتشرة في الكون يجذبها الوسيط اليهِ كما يجذب السراجُ الفراش فتفعل الافعال المتقدمة طوع ارادتهِ

السادس وجود احياء ارقى من الانسان بلغت من الارتقاء حدًّا ان صارت تخفى عن الابصار وهي تفعل الافعال المشار اليها

السابع الحيل والخداع وافاض في افساد هذا التعليل

الثامن انخداع المشاهدين بنوع من الاستهواء الذاتي حتى يروا ما لا وجود لهُ ويسمعوا اصواتًا لا حقيقة لها. وافسد هذا التعليل ايضًا بان بعض الاعمال فعلي لاشبهة فيهِ فقد صوَّر بعضهم المائدة وهي طائرة في الهواء صورًا فوتوغرافية فيستحيل ان تكون رؤيتها طائرة من قبيل الوهم

التاسع التلبثي او انتقال الافعال العقلية من شخص الى آخر من غير موصل وقال ان التلبثي مثبتة الآن ولكنها لا تعلل كيفية حدوث الاعمال الطبيعيَّة كرفع المائدة في الهواء وكسرها

العاشر جمع القوى خارج الجسم · وهو تعليل الكولونل ده روشا ومفادهُ ان اسابيا تخرج قواها من جسمها وتجمعها خارجهُ وتفعل بها ما يحدث من الافعال في جلساتها . ومن هذا القبيل تعليل الدكتور جيل وهو ان القوى العصبيَّة تخرج من الجسم وتفعل بغير وساطتهِ. ومنهُ ايضًا تعليل الدكتور ميرس

الحادي عشر التعليل الروحي الفعلي (سيكو دينامزم) وهو الذي جرى عليهِ كبار العلماء الآن مثل ثري وكروكس وفارلي وكوكس وريشه وده روشا وارما كورا ومكسول · ومفادهُ ان العلم كشف لنا قوى طبيعيَّة لم تكن معروفة وان الظواهر التي نراها ونقول انها طبيعيَّة او كيماويَّة او كهربائيَّة او آلية او حيوية او نفسية او عقلية نفرض لها وجود قوًى غير منظورة تفعلها · كذلك الافعال التي نسميها افعال الوسطاء (مثل افعال اسابيا وامثالها) يجب ان تكون مفعولة بقوًى غير معروفة حتى الآن قوًى من قوى الانسان قد لا تكون موجودة في كل الناس او لا تكون فيهم على السواء وهي قوية في افراد قلائل فيستطيعون ان يجردوها من اجسادهم ويفعلوا بها في الخارج

هذه خلاصة ما كتبهُ الاستاذ مرسلاً في هذا الموضوع. وخطب فيهِ الاستاذ بيو فوى خطبة مسهبة مفعمة بالحقائق العلميَّة يمنعنا عن تعريبها ونشرها هنا ضيق المقام الآن وربما عدنا الى نشرها في فرصة اخرى. وقد بين فيها ان معارف الناس آخذة في الازدياد وهم يكتشفون كل

يوم حقائق جديدة وقوى جديدة فان كانت الافعال التي يفعلها الوسطاء حقيقية فلا بدَّ من كشف سببها ولكن عدم كشف السبب لا ينفي حقيقتها لانهُ ليس من المحال ان يصدر من بعض الناس في احوال خصوصيَّة قوًى خفية تفعل افعالاً ظاهرة في ما حولهم

وكلام الاستاذ بيو فوى حقيقي لا شبهة فيهِ ولكن لا داعي لفرض هذا التعليل الاَّ اذا ثبت ان الافعال المنسوبة الى اسابيا وامثالها لا يمكن تعليلها بحيل فعلتها هي والذين شاركوها فيها. والامر ظاهر ان هذه الافعال تدلُّ على التحيُّل والخداع والاَّ فما معنى وضع الستارة وخفض المصابيح وما هو هذا الشيء الذي يظهر كأَنَّهُ ملتحف بالنور فيضرب هذا على رأْسهِ ويجذب ذاك من اذنهِ ويحاول نزع اللوح الفوتوغرافي من يد الممسك بهِ وتظهر آثار اصابعهِ على اللوح وهي اصابع يد انسان. ولماذا لا نفرض ان بعض المحتالين اهتدى الى مادة يطلي بها جسمهُ او لباسهُ فلا يعود يرى اذا كان النور ضعيفاً جدًّا ثم هو يختفي وراء الستارة كلما قوي النور ويخرج من ورائها اذا ضعف النور ويرفع المائدة ويكسرها وينقر على البيانو وينقل الاشياء من مكان آخر ويفعل غير ذلك من الافعال المار ذكرها

واذا كان الظلام شديدًا في الغرفة ولبس احد المحتالين ثياباً سوداء وطلى وجههُ بطلاء اسود او زنجيًّا لم يرَهُ احد من المشاهدين مهما حدَّقوا واجهدوا عيونهم وتفاهة هذه الاعمال اكبر دليل على انها الاعيب. ويعجبنا من قول هؤُلاء الاساتذة انهُ اذا ثبت الخداع في عمل واحد جاز لنا ان نحمل سائر الاعمال عليهِ لان من يستطيع ان يعمل عملاً حقيقيًّا لا يلجأُ الى عمل كاذب يفسد عليهِ العمل الحقيقي. والوسطاء الذين اشتهروا في القرن الماضي فُضح امرهم او فضحوهُ هم انفسهم واظهروا انهم كانوا يخادعون الناس مخادعةً وهذا يحمل على الاعتقاد ان وسطاء هذا القرن مثلهم من هذا القبيل

ولا عبرة بعجز بعض العلماء عن اكتشاف اخاديع الخادعين فاننا رأَينا بعضهم ينخدع ببعض الاخاديع الطفيفة التي يُعرَف سببها بأَقل بحث. رأَينا رئيس مدرسة كلية لم يستطيع ان يكتشف من نفسهِ حيلة الرأْس الذي يتكلم فوق المائدة. ورأَينا عالمًا آخر لم يستطع ان يكتشف حيلة اخرى في قراءة الاسماء وحسب ان القارئ لها معطي قوة خارقة لقراءة افكار الغير وهو انما كان يقرأُ ما هو مكتوب امامهُ. اما تأْثير الاصابع في اللوح الفوتوغرافي وهو ملفوف بورق اسود فقد يحدث من حرارة الاصابع او من الدهان المدهونة بهِ وهو اقطع دليل على ان يد انسان محتال مسكتهُ

اما اذا انتفت مظنة الخداع فتعليل الاستاذ فوى مقبول ومعقول الى ان يفرَض ما هو اصح منهُ

مضار الخمور

واقوال العلماء فيها

يراد بالخمور كل الاشربة الروحيَّة التي فيها مقدار كبير او صغير من الكحول (السبيرتو) كالكنياك والعرقي والخمر على انواعها . والناس مختلفون فيها الآن من حيث نفعها وضررها فبعضهم يقول انها نافعة ولازمة للصحَّة وتقوية الجسم وبعضهم يقول انها ضارَّة لا نفع منها على الاطلاق وبعضهم يقول ان القليل منها نافع والكثير ضار . وبعضهم يقول ان لانفع منها الاَّ كدواء في بعض الاحوال المرضيَّة فلا يجوز شربها الاَّ بأمر الطبيب · وبعضهم يقول ان لانفع منها على الاطلاق لا في الصحَّة ولا في المرض

وقد دار البحث عليها في مجمع ترقية العلوم البريطاني في الخامس من شهر اغسطس الماضي فقال الاستاذ كشني استاذ الصيدلة في مدرسة لندن الجامعة ان الذين استعملوا الكحول في الطب اخطأُوا فقد اعتقد بعضهم انهُ يصلح الهضم ويغذي الجسم كاحد الاطعمة المغذية ولكن التجارب العمليَّة الكثيرة لم تثبت انهُ يصلح الهضم بنوع عام وغاية ما يفعلهُ انهُ يؤَثر في البعض فيزيد قابليتهم للطعام لانهُ يزيد افراز العصارة المعدية ولكن مقدار الطعام الذي يمتصهُ الجسم في اليوم ويغتذي بهِ لا يزيد بشرب الاشربة الروحيَّة لان زيادة العصارة المعدية لا تزيد الهضم اذ تكون قليلة المواد الخميريَّة فلا تؤَثر في اعداد الطعام للامتصاص · واذا افرط الانسان في شرب الاشربة الروحية اختلَّ عمل الهضم كلهُ في جسمهِ (اي ان الافراط ضار والاعتدال غير نافع) ولا شبهة في فائدة الكحول في بعض العلل الهضميَّة ولكن اذا كان الانسان في حال الصحَّة وجب الوقوف عند قول بنز وهو ان المعدة السليمة لا تحتاج الى علاج ولذلك فهي في غنىً عن الاشربة الروحية على انواعها

وقد يقال ان احوال المعيشة الحاضرة جعلت الناس في حاجة الى ما لا يحتاج اليهِ الاصحاء فالقابلية الضعيفة تحتاج الى ما يقويها . أَفلا يمكن شرب الخمور لجعل الطعام سائغاً مقبولاً وزيادة افراز العصارة المعدية كما تضاف التوابل الى الطعام · والجواب ان الاعتراض على الخمور لاينحصر في فعلها بالهضم بل يتناول تأْثيرها في شاربيها فانهم يعتادونها ويدمنونها ثم هي تؤَثر في الدماغ تأْثيرًا ضارًّا جدًّا وهذا هو السبب الاكبر للاعتراض عليها

اما من حيث ما فيها من الغذاء فقد ظهر من التجارب الكثيرة ان ٩٥ في المئة من

الكحول الذي فيها تحترق في الجسم وتستحيل الى قوة . فالكحول مثل السكَّر والدهن من هذا القبيل ولكن كون الكحول يشبهُ السكَّر والدهن في تحوُّلهِ الى قوَّة لا يدلُّ على انهُ غذاءٌ مناسب للجسم في الصحة والمرض فان ما يطلق عليهِ يطلق على الخل والمورفين في بعض الاحوال والمسألة المهمة هي هل يمكن شرب الخمور من غير ان تفعل بانسجة الجسم فعلاً سامًّا . فقد ظهر من بعض التجارب ان الكحول يقصر عن التغذية في بعض الذين يتناولونهُ وهم غير معتادين عليهِ وظهر من تجارب اخرى انهُ يضرُّ بالانسجة والافراط فيهِ يجعلها غير قادرة على مقاومة الميكروبات المرضيَّة ولكن لم يثبت بالتجارب ان القليل من الكحول يفعل هذا الفعل

اما فعل الكحول بالدماغ فهو انهُ ينبههُ اولاً ثم يسكنهُ فتظهر على الشارب دلائل البهجة والانبساط اولاً ثم دلائل الكمد والانقباض . ويعلل ذلك إمَّا بان الكحول يهيج الدقائق الدماغيَّة ويجعلها تنفق قوتها فيتولاَّها الخمول بعد ذلك كما يتولى كل من اسرف في قوتهِ وإما بان هذا الانبساط ظاهري فقط سببهُ فقد الشعور بما يلجم المرء عن اظهار اهوائهِ من الاعتبارات الخارجيَّة فيمسي كمن فكَّت قيودهُ ولم يعد يسأل عن حشمة ولا ادب . وهو يبطل فعل بعض القوى السامية من القوى العقليَّة ولا سيما ما كان منها حديث النشوء في نوع الانسان كامتلاك الطبع واكرام النفس والترفع عن الدنايا فان هذه الاخلاق الشريفة والكمالات الفاضلة هي من اول ما يزيلهُ السكر من النفس حالما يتمكن منها فيعرّي الانسان من كمالاتهِ ونتائج تعليمه وتهذيبهِ ويظهرهُ باخلاقهِ الحيوانيَّة . واذا اريد استعمال الكحول دواءً ففعلهُ بالدماغ فعل سائر المخدرات

وقال الدكتور دكسن ان الكحول يفيد القلب كمغذٍ من المغذيات فيزيد بهِ ضغط الدم وتصلح الدورة الدمويَّة . وفعلهُ المخدّر يفيد في اصلاح الدورة الدمويَّة ايضاً كالافيون وهو يفضل على الافيون لانهُ لا يتعب التنفس لكن فائدتهُ لا تخلو من الضرر ولذلك لا يجوز استعمالهُ الاَّ بمنتهى الحذر . وقال ان العامة معذورون اذا حسبوا الاشربة الروحيَّة مفيدة وخالية من الضرر لانهم يرون الاطباء يبيحونها او يصفونها من غير قيد لا كأنها دواءٌ بل كأنها شراب مغذٍ منعش . ثم بيَّن انهُ اذا كان في الدم قليل من الكحول الى حد ٢ في الالف زاد بهِ مقدار العمل الذي يعملهُ الجسم ومقدار الدم الذي يمرُّ في القلب في وقت معلوم فيزيد فعل القلب ولكن اذا زاد مقدار الكحول في الدم فبلغ خمسة في الالف تعسَّر فعل القلب بعد ان كان متيسرًا . والسكَّر يفعل هذا الفعل والظاهر ان بعضهُ يستحيل الى كحول في الجسم فيكون فعلهُ ناتجًا عن فعل الكحول القليل الذي يتولَّد منهُ ولعلَّ هذا هو سبب وجود الكحول

في الدماغ والكبد وانسجة الجسم

وقال السر فكتور هورسلي ان الاطباء عدلوا منذ ثلاثين سنة عن وصف الكحول كمنبه بسبب قلَّة فعلهِ وبسبب ما ينتج عنهُ من الانحطاط بعد التنبيه. وعدولهم هذا نتيجة علمية وصلوا اليها بالاختبار الطويل. واذ قد ثبت ان الكحول لا يفيد فسيولوجيًّا ولا دوائيًّا فتركهُ الاطباء وجب ان ينظر الآن في تركهِ من باب اجتماعي فان اللجنة التي عينها مجلس النوَّاب للبحث عن اسباب الانحطاط في اجسام الناس وجدت ان السبب الاول لذلك فساد المساكن والسبب الثاني شرب المسكرات ولذلك فحب الوطن يقضي على المرء ان يمنع استعمال المسكرات بكل جهدهِ علمًا وعملاً

وعرض بعضهم رسومًا بيَّن فيها ان استعمال المسكرات في البلاد الانكليزية قلَّ رويدًا رويدًا منذ سنة ١٨٤٥ الى الآن وان ارتقاء البلاد الصناعي والتجاري زاد رويدًا رويدًا في هذه المدة وكان هذا الارتقاء مناسبًا لقلَّة استعمال المسكرات. وكذلك قلَّ عدد المجانين بقلَّة استعمالها

وختم الرئيس الدكتور ولر البحث بقولهِ انهُ يرجو ان يتمكن اعضاء المجمع في الاجتماع التالي من حل كل المسائل الخلافية في هذا الموضوع والاتفاق على الحقائق المقررة

هذا والشرقيون الذين يترددون على اوربا مرةً كل بضع سنوات قد رأوا كما رأينا ان استعمال الاشربة الروحيَّة قلَّ في مطاعمها وفنادقها وزاد شرب الماء فيها فلا يندر ان ترى الآن فندقًا كبيرًا من الدرجة الاولى والناس فيهِ لا يشربون على طعامهم غير الماء القراح وان ترى كثيرين في المطاعم والفنادق العادية يشربون الماء فقط ولا يشربون خمرًا ومسكرًا آخر وهذا لم تكن تراهُ منذ عشرين سنة حتى اننا اضطررنا مرةً صاحب منزل في سويسرا ان يجلب الماء لنا خاصةً لان الماء لم يكن يشرب في منزلهِ ولا كان عندهُ اكواب لشربهِ فكنا نشربهُ باقداح الخمر

الآن الحكومات الاوربيَّة تكتسب مكاسب وافرة من الاشربة الروحية فهل تعضد الشارعين في ابطالها وهي تعلم انها تخسر خسارة فادحة اذا ابطل شعبها استعمال الخمور. هذه مسألة يعسر حلها ولكن يرجى ان الحق يتغلَّب على الباطل والنافع على الضار عاجلاً او آجلاً

اما المشارقة فلم تشع المسكرات عندهم حتى الآن شيوعها في اوربا وعسى ان ينتشر بينهم الحث على تجنبها والالماع الى مضارها قبلما تنتشر هي ويصير تركها متعذرًا

الشِعر

يقول ايمة العربيَّة ان الشعر هو الكلام المقفَّى الموزون ويقول الافرنج ان كل كلام تخيليّ يسمَّى شعرًا سواءٌ كان نظماً او نثرًا او هو عندهم اسلوب يعبّر المرء بهِ عن افكارهِ وشعورهِ ابان اهتياجها واعتلائها بكلامٍ قد يكون موزونًا

فالحدّ الافرنجي اعم من العربي وقد يظهر لمن لم يتدبر الامر ان الحدين يختلفان بحيث لا يصح اطلاق الشعر على القريض الافرنجي لخروجهِ عن القيود التي وضعها لهُ كتبة العرب ولكن من علم انهُ لما نزل القرآن الكريم قال بعض سامعيهِ انهُ شعر فنزلت بعض الآيات في رد قولهم ان الحدين يتلاقيان لا سيما وان من مواد اللغة العربية يستفاد ان شعَر الشعر اي قالهُ وشعُر بمعنى اجادهُ كلتيهما من ذات معنى شعِر يشعِر اي عقل وفطن واحس مما يدلُّ ان الحدين صادران عن اصلين متماثلين في المعنى يدلان ان الشعر هو القول الذي يشعر بهِ المرء في نفسهِ فهو لذلك ليس مما يأتي كرهًا اي لا يُساق الى المخيلة بالتعليم والتثقيف بل توحي بهِ النفس فينطق بهِ اللسان وانما وضع لهُ علماء العربيَّة ذلك القيد بالوزن والقافية تنزيهاً لآي القرآن الشريف بعد التنزيل

واحياء النفس بالخواطر الشعريَّة هو سرّ ما نجد مستفيضاً ذكرهُ بين الناس من ان كل الامم تقول الشعر عفوًا من غير سائق اليهِ او معدّ لهُ. ونحن نعرف ان العرب في الجاهليَّة كانوا ينطقون بالشعر عفوَ القريحة وحالهم من الجهل والخشونة غير خفي. ولم يكن هذا الحال من خصائص امتهم التي انفردت بها دون سائر الناس كما يزعم بعضهم بل تراهُ شائعًا يشمل كل الامم المعروفة منذ ايام جاهليتها. اعتبر ذلك بما يقول الرواة والسياح عن اعرق القبائل همجيةً كيف ان لها اغانيَ واناشيد حربيَّة وغراميَّة يتغنون بها وما هي الاَّ الشعر في لغاتهم اودعوهُ زُبدة تخيلاتهم

ولا يُعارَض هذا القول بما روي لنا عن جودة النظم في جاهليَّة العرب ومتانة تراكيبهم وحسن اسلوبهم فان اللغة التي نظموا بها كانت لغتهم ينطقون بها كما ينطق العامي لهذا العهد بلغتهِ وفوق هذا فأن العرب قبل الاسلام لم يحفظوا ديوان اشعارهم مكتوبًا ولا هم اثبتوا لغتهم وقواعدها في كتب يرجع اليها في قياس ما اتصل بنا من شعرهم وانما اتصلت تلك الاشعار بن وضعوا القواعد في صدر الاسلام فكان القرآن الكريم اولاً ثم هاتيك الاشعار قياسًا لما

وضعوا من القواعد في العربيَّة فلا غروَ والحالة هذي ان نرى مكان تلك الاشعار رفيعاً من الاجادة في النظم · ناهيك انا نرى بلاغة شعر الجاهليَّة فتأخذنا الدهشة والحال ان القوم كانوا ينظمون الشعر بلغتهم التي الفوا التحدث بها وانما نستغربها نحن لان عربيتنا لهذا العهد كادت تخرج عن الاوضاع الاولى فنحسب من يفهم التراكيب القديمة بارعاً ومن انتهجها من كتابنا وشعرائنا مجيداً ولئن لم يزل بعيداً عن الاجادة في تقليدها

ولقد بحث البعض من جلة العلماء في اوروبا واميركا في مبلغ الاجادة فذهب فريق منهم الى ان الامم في جاهليتها اشعر منها في حضارتها وان النظم لا يزال في الامة ناضراً زاهراً حتى تستنير بالعلم والحضارة فيتقلص ظلهُ · ويعللون عن هذا تعليلاً فلسفياً لا يخلو من الحقيقة ذلك ان الفنون المستظرفة كالموسيقى والتصوير والنحت والشعر لا تتمشى على حكم العلوم التي يزيدها الاختبار وتصقلها المشاهدات لان تلك العلوم تبنى على الاحكام المستمدة من الاستقراء والتمثيل بخلاف الفنون المستظرفة واخص منها الشعر فانهُ يراد بها تمثيل العواطف تمثيلاً حسناً · وقوام الشعر اللغة التي تبرز معانيهُ وهي في حكم الباحثين اشد تأثيراً في النفس اذا كانت ناطقةً بشعور الناظم ولا يتأتَّى لها ادراك هذه الغاية الاَّ اذا نطقت بلغتها البسيطة الساذجة . فالعلم الذي يحسن اللغة يضعف ذلك الرونق · ومعلوم ان الانسان يقتصر في بدء شؤونهِ على المشاهدات فاذا نطق بما اثرت في جنانهِ فقولهُ هو الشعر الجيد · وهذا حال الناس في جاهليتهم · ولكن متى اعمل المرء البصيرة في مشاهدات البصر وسبح في بحار التجريد الفلسفي خرج من طور الفطرة الى ذروة الفلسفة فلم يبقَ لتخيلهِ مدًى يتخطاهُ الى ما وراء احكام التجريد · وهذا شأن الناس في زمن تمدنهم وانك حينئذٍ لتجدنَّ منهم ميلاً علمياً لتصريف الكلام ومطابقة التخيل على احكام العقل وضبط الالفاظ التي تؤدي معانيهُ فينتج من ذلك ضعف الشعر وقوة العلم

فالعلم والشعر اذاً قلَّ ان يجتمعا لان الشعر عبارة عن وصف الصورة المفردة وتصويرها تصويراً خيالياً يحرك العواطف بخلاف العلم فانهُ لا يعني بالصور الافراديَّة كعنايتهِ بالتعميم · و ينتج من هذا ان الذين يعرفون كثيراً ويفتكرون كثيراً قلَّ ان يحسنوا الشعر مع انهم يبرعون في الاحكام العلميَّة والآراء الفلسفيَّة واذا سألتهم وصف رجل مثلاً فربما نقدوهُ نقداً واخذوهُ باصول التجريح مع ان الشاعر مطالب بوصف الموصوف وصفاً اجمالياً

والناس في حال الفطرة كأنهم الصبية الصغار الاَّ انهم يزيدونهم معرفةً وخبرةً فترى الصغير يعبر عن عواطفهِ تعبيراً مؤثراً ولذلك نرى تعبير شعراء الجاهليَّة عن عواطفهم بشعرهم

ادلّ على شاعريتهم وارسخ قدماً . وانا لنذكر من ايام الطلب في المدرسة ان كثيرين من صغار الطلبة يقرضون الشعر العربي قبل ان يشتد ساعدهم في معرفة شيءٍ من اصول الفنون اللازمة لهُ ولكنهم متى تمكنوا من مبادىء العلوم مالوا عنهُ الى سواهُ ما لم يكن قد صار فيهم ملكة وظهرت عليهم امارات الاجادة فيهِ فيزيدونها بالمزاولة

لكن كل هذا لا يمنع ان ينبغ بين اهل الحضارة شعراء مجيدون يعرفون العلوم ولكنهم يتبعون جنة الشعر ويملأُون ادمغتهم من جيد القول المأثور عن الجاهليَّة ويسبحون في بحار التخيلات بما توحي بهِ افكارهم فيجيء شعرهم وعليهِ مسحة الاجادة

هذا قولٌ يصح اطلاقهُ على شعر كل امةٍ على ان نصيب العربية منهُ وافرٌ لان الشعراء الاقدمين تركوا لنا من شعرهم كل نفيسٍ غالٍ . فاما شعر الجاهلية فهو من الطبقة الاولى ويتخذ نموذجاً في الاجادة الاَّ ان حضارة الاسلام واتساع مشاهداتهم اكسب شعرهم رونقاً جديداً ورقةً لا يعرفها الشعر الجاهلي فلما استفحل الاسلام واعتزت الدول العربية ازداد الشعر سناء ولكنهُ ابتعد عن الشعر الجاهلي ومما زادهُ تحسيناً الاخذ فيهِ بالاقتباس من آي القرآن الكريم ومن الحديث النبوي الشريف ومن الحكم والاشعار القديمة

الاَّ ان اختلاط العرب بكثيرٍ من الاعاجم وما لحق بدولهم من الانقلاب من العربي البحت الى غيرهِ شوَّه محاسن اللغة وقضى على نقاوتها وما عتَّم ان تفرعت عنها اللغات العامية التي بلغت لهذا العهد مبلغها من البعد عن الفصيح . فوهنت قوى الشعر العربي الاَّ على قلةٍ ولم يبقَ فطريًّا يعرب عن الخواطر بلغتها بل صار مكلفاً مقيّدًا بقيود التقليد . ومع هذا لم يكن عدد الدائبين على قرضهِ قليلاً . ومجمل ما نظموا من الغث والسمين يدلُّ على ان الناظمين لم يجولوا بتخيلاتهم في مضمار مشاهداتهم ولاجعلوا السنتهم تراجمة خواطرهم فتراهم يغضُّون الطرف عن حضارة بغداد والبصرة ودمشق والقاهرة وما كان فيهنَّ من القصور الشامخة والجنان الرائعة ليعودوا الى ذكرى المنازل والاطلال والمضارب والخيام في القفر البلقع وامثال ذلك مما لم يروا لهُ شكلاً الاَّ في وصف الشعراء السابقين . كأَن الشعر لا يكون عربيًّا الاَّ اذا اتبع تلك المناحي القديمة

على إني اتمحل لاولئك الشعراء عذرًا بأَن اللغة التي عرفوها ونطقوا بها ليست في شيءٍ من اللغة التي يتخذونها قالباً لتخيلاتهم الشعريَّة . فهم اذا ارادوا ان يقرضوا الشعر عادوا الى التماس لغتهِ من دواوينهِ وكتب اللغة فينصرفون اليها كانصراف الطلبة لهذا اليوم الى تعلم احدى اللغات الاعجميَّة والتمكن منها فمتى احاطوا علماً بما هنالك من الاصول والفروع في النحو

والصرف والبيان والعروض اضطروا الى قراءة دواوين الشعر والاحاطة بقسم غير يسير من اللغة الفصحى فضلاً عما يضطر اليهِ المجيدون من معرفة الآيات الكريمة والاحاديث والحكم والأمثال. فكأنهم يُطلب منهم ان يغوصوا عباب العربيَّة فلا يجدون فيها الاَّ تلك التصورات القديمة والمناحي التي يجب ان تهجر. ولا تحصل لهم ملكة الشعر الاَّ بمزاولة الامعان فيها. فتخرج اساليب ما ينظمون على الطرز القديم. وتختلف جودتها باختلاف ما التقطوا من بحرها الخضم

فترى شعرهم بعد هذا عربيَّ اللفظ لكنهُ يخلو من المبدإ الذي كان يجب ان يستفيدوهُ من انعام نظرهم في شعر السابقين اريد بهِ تخيل المشاهدات وتصويرها والحال انهم انتهجوا مناهجهم واستعاروا افكارهم والفاظهم وكناياتهم واستخدموا مشاهداتهم ولكن كل ذلك لبيان افكارهم وغاياتهم فابتعدت الشقة بين الحالتين. واصبح شعرهم عربيَّ السبك ولكنهُ غريب عن الشعر الذي يشعر بهِ قائلهُ

لا نقول هذا ونحن نريد ان نبخس شعراء العربيَّة لهذا العهد شيئًا من حقهم لانا نجد بضعة مختارة منهم يجيدون ما شاءت الصناعة الاَّ ان اجادتهم لا تبلغ بهم مبلغ المتقدمين وقصورهم عن اولئك دليل تأثرهم من الحضارة الحاضرة. لان معظم النابغين من شعرائنا يضطرون في هذه الآونة ان يتمكنوا من العربيَّة وعلومها وان يجاروا ايضاً روح العصر بمعرفة شيء من علومهِ وآدابهِ فضلاً عن لغات الاعاجم الذين نخالطهم. واعظم من هذا كلهِ ان الشاعر بيننا لا يستطيع ان ينصرف بكليتهِ لقرض الشعر بل يطالب بمزاولة عمل يدر عليهِ كسبًا يعيش منهُ. وبالطبع لا ينتظر ممن يطالب باعمال كثيرة ومطالعات شتى ان يتفرغ للشعر وان يجيء منهُ بالجيد المختار كما كان يجيء شعر بعض المتقدمين المتفرغين لنظمهِ. ففضل المجيد من شعرائنا اليوم اعظم لاسيما وان الشاعر الجاهليَّ الذي ينطق بلغتهِ لا يجاهد في استنطاق عواطفهِ كما يجاهد لهذا العهد شعراؤنا لان هؤلاء يجدون عواطفهم متأثرةً من محيطهم المرتقي فاذا فاضت قرائحهم عسر عليهم التعبير عنها بلغة ليست بلغتهم فلا يجيء كلامهم البسيط الساذج ترجمان خواطرهم وليس هذا شأن اولئك الشعراء

وانَّا لنخال شعراءنا كلما عنَّ لهم خاطر يعبرون عنهُ بلغتهم العاميَّة المألوفة تعبيرًا بليغًا لانهُ يؤدي المعنى الذي يريدون ولكنهم لا يبرزونهُ الاَّ اذا ترجموهُ الى اللغة الفصحى. فهذه الترجمة الفكريَّة تذهب بشيء من طلاوة الشعر ولعلَّ ثمت مواضع الخطر على الذين لم ترسخ اقدامهم في معرفة اللغة ولا صارت لهم ملكة استحضار اساليبها

واذا كان هذا شأن المبرزين من شعراء العربيَّة في عصرنا فما القول في حال اولئك المتشاعرين الذين يظنون قرض الشعر من الهنات الهينات يسهل لمن قرأ العروض فمتى قال بيتًا موزونًا ظن انهُ شعر · ان مثل هذا كثير عندنا · وقد تمرُّ على بعضهم الايام فيكسبهم المراس سهولة النظم ولكنهم يقيدون بتقليد السابقين في المباني والمعاني · وقلَّ من خرج عن القيد واطلق لقريحتهِ العنان وترجم عن تصوراتهِ بلغتهِ ولذلك يظلمهم من يلقبهم بالشعراء

والعقبة الكؤُود في سبيل شعرائنا هي المحسنات اللفظية والمعنويَّة فترى الكثيرين منهم يقصدونها مهما توعر سبيلها ويحسب مجيدًا من ظفر بالكثير من امثالها على انها والحق يقال تذهب بالخواطر الشعرية وتحصرها في معنىً تافه ومبنى مستقيم

ومن آفات شعرنا ايضًا ان فئةً من قائليهِ يحسبون الشاعرية قائمةً بغموض المعنى فيعدلون الى التراكيب المهجورة والالفاظ المهملة حتى يعسر على عامة الناس فهم مغزى شعرهم فيخالفون بذلك اصول البلاغة

فهل ينتبه اساتذة مدارسنا الى تخريج الطلبة تخريجًا يجعل فيهم ملكة اللغة الفصيحة والاسلوب الحسن حتى اذا ارادوا التعبير عن خواطرهم نظمًا او نثرًا جعلوا السنتهم تراجمة افكارهم بعبارة صحيحة لا ترسف بقيودها ولا تقاد الى حيث لم يقصد قائلها

ر · ن

حكم وامثال من التلمود

منتخبة من كتاب في التلمود للاستاذ بولانو

تعلَّم اولاً ثم عَلِّم

قليلون هم الذين يعرفون ذنوبهم

الطعام الذي يطبخهُ طبَّاخون كثيرون لا يكون حارًّا او باردًا

الفرس الذي يطعم كثيرًا من الشعير يصير جموحًا

لا تعمل لغيرك ما لا تريد ان يعملهُ لك

الصبر احيانًا خيرٌ من الغنى

دُمْ طالبًا رحمة الله الى ان تلقى على قبرك الحفنة الاخيرة من التراب

الشباب اكليل من الورد

الآس آس ولو كان في قفر

علّم لسانك ان يقول لا أعلم

طيور السماء تحتقر البخيل

الضيافة من اعمال عبادة الله

لا تلقِ عيباً على احدٍ من اولادك

لا تحضر حراجاً اذا لم يكن لك ما تشتري بهِ

خيرٌ لك ان تسلخ جلد الميتة في الشوارع وتقبض اجرةً من البطالة والتوكل على الصدقة

عامل اهل السعد

ما يُقدَّر لجارك لا يكون لك ابداً

وهن حيطان بيتك داعٍ للّص

المكان لا يشرّف الانسان بل الانسان هو الذي يشرّف المكان

أحطُّ الناس سيّد في بيتهِ

اذا كان الثعلب ملكاً فانحنِ لهُ

زيدٌ اجترم والجار عوقب

الطبيب الذي يصف دواءً بلا اجرة لا نفع من دوائهِ

الورد ينمو بين الشوك

الخمر لصاحب البيت والشكر للساقي

من خالط النجاسة تنجّس ومن عاشر النقاوة تنقّى

ما من احد عديم الصبر لدى اصحاب الدين

بِع بيعةً واحدة فيسميك الناس تاجراً

اذا كسدتْ بضاعتك في مكان فجرِّب غيرهُ

ضجّة درهمين في كيس اكثر من ضجّة مئة

الانسان يرى القذى الذي في عين قريبهِ ولكنهُ لا يدري بالجسر الذي في عينهِ

مناظرة العلماء تزيد العلم

اذا كشفتَ سرّك لثلاثة عرفهُ عشرة

متى كان الحبّ شديداً كان المجلس الواحد كافياً للاثنين ثم بعد ذلك ربما حسبا ستين ذراعاً من البعد بينهما غير وافٍ

متى دخل الخمرُ الرأس طار السرّ

متى صدق الكاذب رأى عقابهُ في عدم تصديق الناس لهُ

لا حاجة الى ان تضيء سراجك في ظهيرة النهار

اللحم بلا ملح لا يصلح الاَّ للكلاب

لا تثق بنفسك حتى يوم موتك

ويل للبلاد التي فقدت رئيسها وويل للسفينة التي فقدت ربَّانها

من يزيد جسدهُ لحماً يزيدهُ طعاماً للدود

النهار قصير والعمل عظيم والعامل كسلان

كن مطيعاً لرئيسك ولطيفاً للصغير وصدوقاً للكل

الصمت سورٌ محيط بالحكمة

اذا لم تكن شريعة زال العمران

لكل انسان فرصتهُ ولا محالة

خير للمرء ان يكون ذنباً بين الأُسود من ان يكون رأساً بين الثعالب

لا تُلقِ حجراً في البئر التي تستقي منها

الحق ثقيل ولذلك كان الذين يرضون بحملهِ قليلين

قُلْ قليلاً واعمل كثيراً

من يكثر الكلام فخطأُهُ قريب

من احبهُ الناس احبهُ الله

لا تجاور تقيًّا احمق

استعمل كاسك الثمينة اليوم فانها قد تنكسر غداً

الشمس تغرب بلا حاجة الى مساعدتك

لا يسأل الرجل عما يقولهُ وهو في شدة الحزن

لما كان حبنا شديداً اضجعنا على سنان السيف واما الآن فقد صار السرير الذي عرضهُ ستون ذراعاً ضيقاً علينا

طوبى للابن الذي يتلقى العلم من ابيهِ وطوبى للأَب الذي يعلم ابنهُ

اذا ابتعدت عن الغضب ابتعدت عن الخطإِ واذا ابتعدت عن الافراط ابتعد عنك غضب الله

متى كانت السوق كاسدة فاشترِ واذا راجت فاكفف

الجاهل لا يشعر بالاهانة كما لا يشعر الميت بجرح السكين

اللص الذي لا يجد وسيلة للسرقة يحسب نفسهُ اميناً

كاسب الحكمة من يرضى بالعلم من حيث اتى والقويّ من يكظم غضبهُ والغني من قنع بنصيبهِ والمكرَّم من يكرم الناس

لا تحتقر احداً ولا تعدّ شيئاً محالاً فان لكل احدٍ زماناً ولكل شيءٍ مكاناً

الحديد يكسر الحجر والنار تذيب الحديد والماءُ يطفئ النار والغيوم تحمل الماء والأَرياح تبدد الغيوم والانسان يتحمل الارياح والخوف يغلب الانسان والخمر تنفي الخوف والنوم ينتصر على الخمر والموت يسود على النوم والصدقة تخلص من الموت

تفرُّ من الخطيَّة اذا تأملت بهذه الاشياء الثلاثة من أين اتيت والى اين تذهب وامام من تحاكم

المستهزئ والكذَّاب والمرائي والنمام ليس لهم نصيب في دار السعادة الابديَّة

الواشي كالقاتل

ليس العبادة برفع الصوت في الصلاة ولكنها برفع القلب الى السماء

من يتصدق على الفقراء اعظم من موسى

كل بركات العائلة تأتي من الزوجة ولذلك يجب على الزوج اكرامها

ليحذر الرجل ابكاء النساء لان الله يعدّ دموعهنَّ

اذا احتاج الرجل والمرأة الى الصدقة فتفضَّل المرأة على الرجل واذا لم يكن كفاية لكليهما فليعدل الرجل عن نصيبهِ

لا يحزن احد على موت المرأة كما يحزن زوجها

من عرف ربهُ وعرف نفسهُ لا يسهل عليهِ الخطأُ

شرُّ البخيل كشرّ الذي يعبد الصنم

لا تصادق رجلاً يرتدي ثوب الصالح ليستر قبائح الشرير

لا تلقِ بنفسك في سبيل التجربة فان داود نفسهُ لم يستطع مقاومتها

سئل شيخ فاضل عن السرّ الذي اكسبهُ شيخوخة سعيدة خالية من الهموم فأجاب لم اخزن ابدًا في قلبي غضبًا على عائلتي ولم احسد ابدًا من هو اعظم مني ولم اشمت ابدًا بسقوط احد

أمسُكَ ماضيك ويومك مستقبلك وغدك مجهول

خير الواعظين القلب وخير المعلمين الزمان وخير الكتب الدنيا والله خير الاصدقاء

من يختلس من قريبهِ شيئًا ولو فلسًا فهو شرير كمن يقتل نفسًا

ما الحياة الَّا قرضة يطلبها الموت يومًا ما

يُعرَف الرجل من اعمالهِ وكلامهِ لا من ظنون الناس بهِ

من كان سببًا لعقاب احدٍ ظلمًا كان بعيدًا عن ابواب الجنة

من كان شرس الطبع فسيئاتهُ اعظم من حسناتهِ

الخاطئ جاهل كما انهُ شرّير

الحسنات التي نعملها في هذه الدنيا تتشخص وتلاقينا في الآخرة

من كان فيهِ شعور الحياء لا يسرع الى عمل الخطاء

الفرق عظيم بين من يستحيي امام نفسهِ ومن لا يستحيي الَّا امام الناس

من لا يوفي بعهدهِ كمن يعبد الاصنام

من يأكل ويشرب ولا يحمد الله فحكمهُ حكم السارق

أَحب زوجتك كنفسك واكرمها اكثر من نفسك . من لا زوجة لهُ فلا سعادة لهُ في الحياة . ومن تزوج حبًا بالمال كان اولادهُ شرًّا عليهِ

قال امبراطور روماني للحاخام غمالايل "الهكم لص" لانهُ ورد في كتبكم ان الله ألقى آدم في سبات ثقيل ولما نام اختلس منهُ ضلعًا" . وكانت ابنة الحاخام حاضرة فقالت انا أجيب على هذه التهمة الباطلة وجوابي هو انهُ ليلة امس دخل لصوص الى غرفتي وانا نائمة وسرقوا كاسًا من فضة ولكنهم تركوا عوضها كاسًا من ذهب . فقال الامبراطور ليت هؤلاء اللصوص يأتون كل ليلة . قالت هكذا كان امر الله مع آدم فانهُ اخذ منهُ ضلعًا واعاضهُ عنها بامرأة

يوحنا ورتبات

تأثير المدارس في العيون

نقلاً عن كتاب العناية بالعين للدكتور اسكندر جريديني . والكتاب تحت الطبع وسيصدر قريباً

(١) المدارس وامراض العيون

في بلدان الحضارة يضعون المدارس على اختلاف طبقاتها تحت المراقبة الصحيَّة لوقاية التلامذة من الامراض وعلى الخصوص ما كان منها شديد العدوى كالسل والخناق (الدفتيريا) وغيرهما من العلل القاتلة التي تنتقل من العليل الى الصحيح با لامسة والمخالطة ويكون للتلامذة نصيب كبير منها

وامراض العيون من جملة الامراض المعدية التي ينتقل ميكروبها من تلميذ الى آخر ولا سيما في المدارس المعدّة للأكل والمنام حيث تكثر المخالطة والملامسة ويكثر المرض أيضاً

ولا يخفى أن كثيرين من فتيان المدارس وفتياتها مصابون بأمراض مزمنة في ملتحمة العين تعرف بالحبيبات الجفنية او " اللحميَّة " حسب اصطلاح العوام في هذا القطر وكل شخص عالمًا كان او جاهلاً يعرف " اللحميَّة " ولكنهُ يجهل ان في رمص (عماص) العين المصابة بهذه العلة ميكروباً مرَضياً فاذا انتقل الى عين التلميذ بواسطة أصابع اليد او منديل او كتاب او منشفة او غير ذلك مما تتناقلهُ الايدي احدث المرض وهكذا يقال عن سائر امراض العين

(٢) المدارس وخلل البصر

يولد الطفل طويل البصر ففي السنين الاولى من الحياة يغلب طول البصر على البصر الطبيعي والحسر . وكلما خطا التلميذ نحو المدارس العليا زاد الحسر ولا يزال يزداد الى ان يبلغ متوسط ما يصل اليهِ في المدارس الجامعة نحو ٥٠ في المئة

أما اعراض خلل البصر في التلامذة فهي : —

اذا رأيت عيني التلميذ محمرّتين وكان يشعر بتعب فيهما عند النظر الى الكلمات او الحروف من مسافة بعيدة . أو يحدّق ببصرهِ الى الاشباح ولا تنجلي لهُ صوَرُها ما لم يضيّق جفنيهِ ويزمهما . او يشكو ألمًا في رأسهِ او حاجبيهِ او كُرَة عينهِ (حبة العين) فذلك دليل على خلل

البصر وهذا الخلل لا يستقيم الاَّ بالنظارات ولكن اكثر الناس يستقبحونها ويستنكفون من استعمالها ولا سيما لصغار الاولاد لاعتقادهم بمضارها على انهُ ثبت بالتجربة والامتحان ان النظارات من افعل الوسائل لانقاذ التلامذة من عناء الاعراض التي سلف ذكرها اذ بذلك يصح الجسم ويقوى التلميذ على مباشرة اعمالهِ المختلفة فيقضي ما بقي لهُ من العمر براحة وهناء

قال الدكتور جولد الرمدي الاميركي الشهير "ان اصلاح خلل البصر في الصغر ينقذ العليل من اعراض اجهاد العين الناهكة للجسم والبصر لانهُ عرف بالاختبار ان الذين يصابون بهِ في صغرهم ولم يصلحوهُ بالنظارات الوافية يجعلون الرجاء في اصلاحهِ ضعيفاً بل مستحيلاً في كثير من الحوادث ولاسيما بعد الثلاثين من العمر وخصوصاً اذا كان العليل ممن يشتغلون بالاشياء الدقيقة من مسافة قريبة من العين"

ولا يخفى ان كثيرين من الطلبة المصابين بخلل البصر او بعلة في السمع يرمونهم في المدارس بالبلادة والفهاهة فتكون حالتهم سبباً في جرّ العقابات المدرسية اليهم مع ان الذنب ليس ذنبهم ولكنهُ ذنب الذين اهملوا امرهم قبل دخولهم المدرسة

والاطباء الرمديون في الولايات المتحدة الاميركية كانوا في مقدمة الذين نبهوا الخواطر الى وجود خلل البصر في المدارس فاوقفوا هجماتهِ بتنظيم الدروس وامتحان عيون التلامذة قبل دخولهم المدرسة بحيث اذا وجدوا فيها خللاً اصلحوهُ وجعلوا الدروس على قدر ما يتحملهُ بصر التلميذ

واليك نص القانون الذي وضعتهُ حكومة ولاية فُرمونت من اعمال الولايات المتحدة لامتحان عيون التلامذة نذكرهُ تعميماً للفائدة وهو : --

"على مجلس صحة ولاية فرمونت (Vermont) ان يجهز ما يلزم من المعدات والارشادات لامتحان البصر والسمع في المدارس التابعة للولاية · وعلى مدير المعارف ان يوزعها مجاناً على المعلمين ويدربهم على استعمالها بحيث يدونون في سجل خصيص ما يعثرون عليهِ من الخلل والعلل في عيون التلامذة وسمعهم ثم يرسلون الى والديهم او اوصيائهم ما علموهُ عن مرضهم بعبارة وجيزة ويرفعون تقريرًا عاماً الى مدير معارف الولاية في آخر كل سنة او عند طلبهِ · انتهى

تقرر في ١٧ نوفمبر سنة ١٩٠٤

وامضي (تنفذ) في اول يوليو (تموز) سنة ١٩٠٥

ويا حبذا لو نصَّبت نظارة المعارف المصرية اطباء رمديين للاشراف على مدارسها في

الارياف ولو فعلت لتناقصت امراض العيون وقلّ الخطر الذي يتهدد فتيان المدارس وفتياتها بالعمى لاهمال قوانين صحة العيون

(٣) اسباب خلل البصر في المدارس

يحدث خلل البصر في المدارس من اسباب كثيرة نقتصر على ذكر ما يصل اليهِ امكاننا لعلّ الخواطر تنتبه في هذه البلاد الى النقص الموجود في مدارسها فيصلحونهُ وبذلك يقون اولادهم رجال المستقبل من الخلل الذي يطرأ على ابصارهم فيردّهم خاسرين في معترك الحياة

أما الوقاية فتكون في مراعاة القوانين الآتية : —

أولاً : ابتداء التعليم في المدرسة — جرت العادة في البلدان الشرقية ان يرسلوا الولد الى الكتّاب حالما تقوى ساقاهُ على المشي وهي عادة مستقبحة ينشأُ عنها مضار كثيرة للجسم والبصر ولذلك ينبغي ان يبدأ بتعليمهِ من السنة السابعة من العمر الَّا اذا كان في جسمهِ سقمٌ او في بصرهِ خلل فعندئذٍ لا يجوز ان يوضع في الكتّاب قبل الثانية عشرة من عمرهِ . على انهُ اذا كان لا بدّ من تعليمهِ قبل هذا الزمن فالافضل ان يُقتصر على تلقينهِ العلوم بالخطاب قبل الكتاب أو يتمرن على القراءة البسيطة الى ان يبلغ السنّ الذي يؤهل بصرهُ ويُعد صحتهُ لملاقاة المصاعب في ميدان الدروس

ثانيًا : الامتحانات المدرسيَّة — قلنا فيما سلف ان الولد ينبغي ان يوضع في الكتّاب في السنة السابعة من عمرهِ ولا يُرجأُ تعليمهُ الى ما وراء ذلك من السنين الَّا لعلة في جسمهِ او بصرهِ

وهب ان الولد دخل المدرسة صحيح الجسم والبصر فليس من الحكمة ان يكره على تعلّم القواعد العلميَّة التي تتعب الفكر والنظر وتعود عليهما بالضعف والحسَر

وقد بلغ الجهل من بعض المعلمين ان يكرهوا التلامذة على مراجعة دروسهم في ساعات الليل التي هي ساعات الراحة والسكون لا التعب والاشتغال وان يجعلوا لهم الجوائز فيتباروا في نيلها وذلك يقتضي ادمان السهر والمطالعة واجهاد البصر والعقل ولا شك في ان هذه الطريقة ولا سيما لصغار المبتدئين بالعلوم من اقبح الطرق وافعلها في انهاك القوى واضعاف البصر . فيكون هؤلاء المعلمون قد اضروا بالتلميذ بأفعالهم القسريَّة من حيث ارادوا لهُ الفائدة لأنَّ مغالبة القوة في الحقيقة ضعف وبذلك يضيع مستقبل كثيرين في اوائل عمرهم ويكونون اطفالاً وشيوخًا في وقت واحد وهو منتهى الخرق في الرأي وغاية الحمق في سياسة الاطفال

ثالثًا : موقع المدرسة — علمنا مما سلف ان ادمان التحديق الى الاشياء الدقيقة من مسافة

قريبة من العين هو من الاسباب الباعثة على قصر البصر ومعلوم ان سكان الجبال المرتفعة والسهول الواسعة في مأمن من هذه العلة لانهم يتمرنون على النظر الى الاشباح البعيدة خلافاً لسكان المدن ولا سيما الذين يقطنون في الحارات والشوارع الضيقة فان مجال البصر في تلك الاماكن ضيّق وقصير فيصاب سكانها بالحسر . ولذلك ينبغي ان تكون المدارس مبنيةً في بقعة طلقة الهواء واسعة الفضاء ومحاطة بساحات رحيبة لاجل اللعب وتسريح النظر في الاشباح البعيدة لان بناءها في الشوارع الضيقة وعلى الخصوص في جوار الابنية المرتفعة يجعل مجال البصر قصيراً فيكثر الحسر (قصر البصر) بين التلامذة

وفي الولايات المتحدة الاميركية يبنون المدارس في الشوارع الواسعة او في ضواحي المدن بل ان معظم مدارسهم العليا ان لم اقل كلها منتشرة في الارياف بحيث تكثر المناظر البعيدة فتتمرن العين على النظر اليها فضلاً عن ان الهواء في الخلاء ينعش الصدور ويبث في التلميذ روح العمل والاجتهاد

رابعاً : نور الغرف — يجب ان يكون دخول النور الى الغرف رأساً من غير واسطة واما في ايام الصيف حيث يكون النور مشبعاً بالحرارة المتوهجة ومملوءاً من البريق المزعج وهو اللمعان فينبغي ان يناط الى الجبهة مظلة من الورق او غيرهِ بحيث يستلقي ظلها على النور الملامس للعين فيكسر حدتهُ ويختلط بلمعانهِ فيخفف منهُ . وكثيراً ما يستعمل التلامذة مثل هذه الوقاية في ايام الحرّ عند ما يضطرون الى القراءة في نور الشمس او تكون قراءتهم ليلاً على نور مصباح قريب متألق

خامساً : نور الشبابيك — يجب ان يكون عدد الشبابيك في غرفة الدروس كافياً لاضاءتها وان يكون زجاجها كبيراً ينظف على الدوام مما عساهُ ان يعلق بها من الغبار والاقذار . وينبغي ان يكون موقعها بحيث يفيض منها النور الى يسار التلميذ او الى يسارهِ ومؤخر المكتبة التي يجلس اليها

اما النور الذي ينحدر من ناحية اليمين فيحدث ظلاً يزعج البصر وذلك لوقوع اليد اليمنى بينهُ وبين الكتاب او غيرهِ من الاشياء التي يشتغل بها الانسان كالكتابة والخياطة والتطريز واشباهها

وكذلك النور الذي يأتي من الخلف فان ظهر التلميذ يحجب ضياءهُ ويحدث ايضاً اظلالاً تتعب البصر وتزعجهُ

واما النور الذي يقع من الامام فهو اشدّ ضرراً من جميعها لان وقوعهُ على كتاب التلميذ

مباشرةً يحدث لمعاناً يحيّر البصر. واعتبر ذلك من النظر الى صورة معلقة بين نافذتين مفتوحتين

ومن الضروري ان تكون مساحة النوافذ في الطبقات السفلى من بناية المدرسة اكبر منها في الطبقات العليا لان هذه تكون دائماً في معترك النور والهواء واما تلك فقلما ينحدر منها ما يكفي فضلاً عما يركد في هذه الطبقات من امواج الهواء التي لا تلبث ان تفسد باختلاط الانفاس وانبعاث الرطوبة ونحوها

ولضيق هذه النوافذ واهمال الناس امر العناية بتوسيعها الى الحد الصحي تجد اكثر التلامذة الذين يدرسون في الطبقات السفلى مصابين بخلل البصر الاَّ من كان قويّ الجسم والبصر بحيث يستطيع أن يقاوم هذه الاعراض

واذا اردت ان تمتحن نور الغرفة فخذ كتاباً مطبوعاً بحرف صغير (كحرف ١٢ مثلاً) واجلس ناحيةً في احدى زواياها البعيدة فاذا لم يتعب بصرك من القراءة فالنور يكون كافياً وموافقاً للعين

أما حجم الشباك فيكون على نسبة قدم مربعة لكل اربع اقدام من ارض الغرفة

سادساً: رسم غرفة الدروس — ينبغي ان يكون علوّ الغرفة ١٥ قدماً وطولها ٣٢ قدماً وعرضها ٢٤ قدماً بحيث تبلغ مساحتها ١١٥٢٠ قدماً مكعبة لكل ٤٥ تلميذاً او ٢٥٧ قدماً للتلميذ. وان يكون علوّ الشباك ١١ قدماً وعتبتهُ مرتفعة عن الارض نحو اربع اقدام لكي يسقط النور نازلاً من فوق رؤُوس التلامذة واذا كان ارتفاعها اقلّ مما ابنّاهُ انبعث النور من الاسفل فأزعج البصر. ولا ينبغي ان يكون بين سقف الشباك وسقف الغرفة ارتفاعٌ اكثر مما تقتضيهِ نسبة ارتفاع الحائط كلهِ

سابعاً: ستائر الشبابيك — ينبغي ان يكون لكل نافذة ستارتان الواحدة للنصف العلوي والاخرى للنصف السفلي وذلك لأجل تعديل كميَّة النور الداخل الى الغرفة حسب اللزوم

واما لون الستائر فان الرمادي والاصفر والازرق والاخضر أفضل الأَلوان موافقةً للعين ولا سيما الاخير لانهُ يلطف النور ويكسر حدَّتهُ. وينبغي ان يكون اللون في كل ذلك خفيفاً لا مشرقاً ممتلئاً لئلا ينعكس لمعانهُ على البصر فيضرّ بهِ ضرراً كبيراً

ثامناً: لون الغرفة — يُدهن سقف الغرفة وجدرانها بلون يشبهُ لون السجف (الستائر) واما النوافذ والموائد (التختات) فالافضل ان تصبغ بلون فاتح ويقلل من تعليق الصور والالواح السوداء على الجدران ما امكنت الطاقة الى ذلك

تاسعاً: الموائد والمقاعد — المائدة او المكتبة هي التي يلقي عليها التلميذ كتابهُ ويضع في

داخلها ادوات الكتابة وغيرها من لوازم المدرسة وتعرف في هذا القطر " بالتخنة " . وينبغي ان يكون وضعها في غرفة الدروس بحيث يقع عليها النور من الشباك الى يسار التلميذ او يسارهِ وخلفهِ . ولا يجوز ان توضع في مواجهة الشباك لئلا يسقط عليها النور مباشرةً فينعكس لمعانهُ على العينين او يقع على وجهِ التلميذ فيحير بصرهُ ويضرّ بهِ كما تقدم في الكلام على " نور الشبابيك "

ويلزم ان تكون حافة المكتبة بارزةً قليلاً الى ما فوق مقعد الكرسي وان يكون سطحها منحدرًا لناحية التلميذ نحو ١٠ درجات عن الاستواء وعلى العموم يكون منحدرًا اكثر منهُ منبسطًا

ويحسن ان تكون المكتبة من الارتفاع بحيث يُلقي التلميذ ساعدهُ عليها بدون ان ترتفع كتفهُ عن وضعها الطبيعي

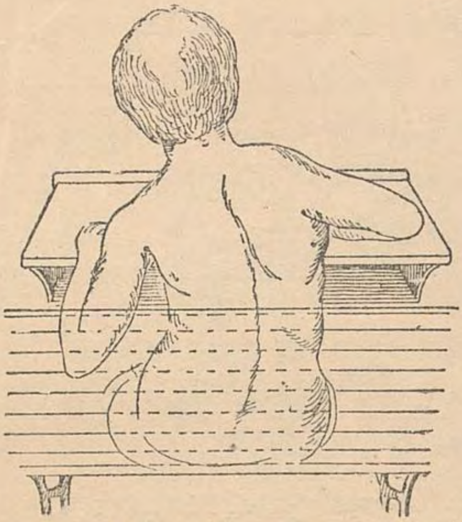

(شكل ١) صورة تلميذ يكتب على مكتبة مرتفعة

والمقعد هو الذي يجلس عليهِ التلميذ الى المكتبة ومن الضروري ان يكون عرضهُ كافيًا يسع الوركين ومقعرًا شيئًا قليلاً جدًّا كهيئة راحة الكف تقريبًا مع انحدار طفيف لا يذكر الى الخلف لكي يثبت عليهِ الجالس من غير ان يتزحزح عن وضعهِ . وان يكون طرفهُ المرتفع الى الامام شيئًا قليلاً بحيث يجلس عليهِ التلميذ مستقيمًا ويكون ظهرهُ منتصبًا لا يشعر بتعب ولا قلق مهما طال امد جلوسهِ عليهِ والاَّ كان في ذلك الضرر للجسم والبصر

وينبغي ان يكون المقعد من الارتفاع بحيث يلقي التلميذ قدميهِ على الارض براحة وان يكون علوّهُ على نسبة موافقة لعلوّ المكتبة لانهُ اذا كان مرتفعًا كثيرًا اضطرّ التلميذ الى ان

يرسل رجليهِ من غير تثبت على الارض او ان يمسَّ بها الارض من ظرف الاصابع وفي هذه الحالة لا يستطيع ان يستعين بفخذيهِ وقدميهِ على الجلوس مستقيمًا

واذا كان ارتفاع المائدة زائدًا عن الحد المطلوب فلا يتمكن التلميذ من مدّ ساعدهُ عليها عند الكتابة الاَّ ان يحني صلبهُ ويرفع كتفهُ على نحو ما ترى في (شكل ١)

واذا كانت المكتبة منخفضة جدًّا فان التلميذ يضطر الى القاء صدرهِ الى الامام وانكبابهِ عليها فتفضي بهِ الحال الى تغيير وضع كتفهِ عن طبيعتهِ كما ترى في الرسم (شكل ٢) وهو ما يسمى في اصلاح الطب بالكتف المستديرة او المفتولة فضلاً عن ان هذه الحالة تتطلب اجهاد البصر وتكييفهُ فتتعب العين بل تكون سببًا في انضغاط الاوردة السطحية للعنق فينجم عن ذلك احتقان في العين والدماغ غير محمود العاقبة

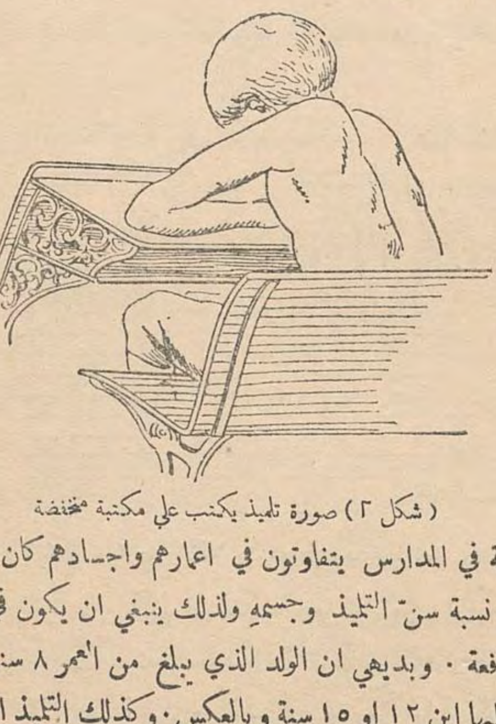

(شكل ٢) صورة تلميذ يكتب على مكتبة منخفضة

ولما كان الطلبة في المدارس يتفاوتون في اعمارهم واجسادهم كان لا بد من ان يُجعل المقعد والمائدة على نسبة سنّ التلميذ وجسمهِ ولذلك ينبغي ان يكون في المدرسة عدد كافٍ منها لهذه الغاية النافعة · وبديهي ان الولد الذي يبلغ من العمر ٨ سنوات مثلاً لا توافقهُ المائدة التي يجلس اليها ابن ١٢ او ١٥ سنة وبالعكس · وكذلك التلميذ القصير القامة لا توافقهُ المائدة التي يجلس اليها زميلهُ الطويل القامة وذلك للاسباب التي سلف ذكرها

ثم انهُ لا يجوز ان ينقل التلميذ من مائدة الى اخرى قبل مرور ثلاثة اشهر على الاقل لان التنقل من مائدة صغيرة الى كبيرة او عكس ذلك في كل اسبوع او شهر يكون سببًا في اعتلال البنية واختلال نموّها

ومن البلية ان داء التنقل على الكيفية التي مرَّ ذكرها منتشر في المدارس الشرقية ذلك لان المعلمين يضطرون الى التغيير والتبديل في كل يوم او اسبوع حسب اهلية التلميذ واستعدادهِ للترقي من درجة ادنى الى درجة اعلى . وقد يتفق ان يكون التلميذ السابق في ميدان الدروس اصغر جسماً او سنًّا من زميلهِ فياخذ مكانهُ في المكتبة ويكون ذلك سبباً في مضرتهِ لا نفعهِ

فعلى المعلمين او الذين يتولون ادارة المدارس ان يراعوا هذه القوانين الصحية لما فيها من الخير والسلامة للتلامذة ولا سيما وهم بعدُ صغار لا تقوى اجسامهم على تحمل الخشونة

والمدارس في هذا القطر في حاجة الى الاصلاح الصحي ولا سيما المدارس الاهلية فان اكثرها لا يصلح حظيرةً للخرفان

عاشرًا : الخرائط والالواح — في المدارس خرائط تعلق على جدران الغرفة وعليها رسوم وكلمات مختلفة الحجم والشكل فاذا تمرن التلميذ على النظر اليها من مسافة بعيدة صانت بصرهُ من الخلل الذي ينشأُ عن التحديق الى الاشياء الدقيقة من قرب

وينبغي ان تكون الرسوم واضحة وحروف الكلمات كبيرة لا يقل طول الحرف عن خمسة سنتمترات واما عرضهُ فيكون على نسبة توافق طولهُ

واما الالواح السوداءُ وهي التي يكتبون عليها بقلم من الطباشير فيلزم ان تنظف بالاسفنجة والماء لا بخرقة جافة حتى لا يبقى عليها اثر من الطباشير يكون سبباً في منع البصر عن تمييز الكتابة بوضوح وجلاءٍ

ويجب ان يحترس من وضع الخرائط والالواح بين نافذتين لان النور يقع عيها من ناحيتين فيحدث لمعانًا يحير البصر والأفضل ان تعلق تجاه المكان الذي ينبعث منهُ النور الى الغرفة

حادي عشر : ترتيب الدروس — ينبغي أن يقتصر في تعليم الصغار على ساعات المدرسة فقط ولا يكرهوا على مراجعة دروسهم في البيت على الاطلاق لئلا تخور قوى العين مما تتحملهُ من العمل فوق طاقتها ولا سيما وهي بعدُ غير كاملة النموّ في صغار الاولاد فضلاً عما يجرُّ اليهم هذا الكدُّ من الامراض العصبية نخصُّ منها المرض المعروف برقص "مار انطونيوس" الذي يهاجم الاحداث فينهك قواهم مما يتحملونهُ من تعب الفكر في مراجعة دروسهم في النهار والليل

اما مدة التعليم ولا سيما في المدارس الابتدائيَّة فلا ينبغي ان تتجاوز ست ساعات في النهار منها ساعتان او ثلاث للقرآءة في الكتب وما تبقى فللتعليم بالخطاب لا بالكتاب وهو ان يشرح المعلم بعض قواعد العلوم كعلم الجغرافيا وعلم الحساب وغيرهما مما يرشح اذهان الصغار لقبول

العلوم العالية وذلك انما يكون بالتلقين بالصوت الحيّ او بالدلالة عليها في الخرائط والرسوم المعلقة على جدران الغرفة

ومن الضروري ان يتخلل ساعات الدروس فتراتٌ صغيرة لراحة العينين وترويض البدن باللعب والجري في ساحات المدرسة خارج الابواب في الهواء النقي

ثاني عشر : الكتب المدرسية — أفضل الكتب ما كان منها صغير الحجم خفيفاً يسهل على التلميذ حملهُ بين يديهِ . وانسب الحروف للبصر حرف ٢٤ للصغار و٢٠ او ١٨ للكبار ويحترس من التعليم في الكتب المطبوعة بحروف دقيقة كحرف ١٨ مثلاً لئلا يضطر التلميذ ولا سيما المبتدئ الى تقريب الكتاب من عينيهِ في اثناء القراءة فتسوقهُ الحال الى "تكييف بصرهِ" وهو عمل عضلي يتعب العين ويفضي الى الحسر

وينبغي ان يكون طول السطر ١١ سنتمترًا والخلاء بين السطر الواحد والآخر نحو ملمترين ونصف ملمتر والاَّ زاد العمل على العضلات العينيَّة التي وظيفتها توجيه كرة العين الى انحاء مختلفة فيتعب البصر ويكلّ من تحريك العينين وتقليبهما في اثناء القراءة والمطالعة

ومن المحاسن الصحية التي يظهر نفعها في البصر ان يكون ورق الكتب نظيفاً يضرب الى السمرة شيئاً لا يذكر . ولا يكون خشناً يتعب البصر كورق الصحف السيارة ولا صقيلاً لمّاعاً كورق المجلات المصورة فيعكس النور على العينين ويحيرهما . فالاول وهو الخشن رخيص يقصد بهِ الصحافي توفير المال . والثاني ابيض ناصع تبرز فيهِ الصور والحروف جلية للعين فيكون في ذلك رواج المجلة واقبال الناس على اقتنائها وفي كلا الحالتين نفع للصحافي ولكن العاقبة سيئة على البصر

طيران الانسان

ذكرنا في الجزء الماضي ان الحكومة الفرنسوية صنعت بلوناً يسهل التحكم بهِ وهو طائر فيركبهُ الجنود ويديرونهُ كيف شاؤوا . والظاهر ان الالمان حذوا حذوهم فصنعوا بلوناً يركبهُ الجنود ويتحكمون بحركاتهِ وهو كبير جدًّا طولهُ نحو ١٥٠ قدماً شكلهُ بيضي من احد طرفيهِ وكروي من الطرف الآخر يسع ٢٨٠٠ قدم مكعبة من الغاز وفيهِ آلة غازية قوتها ٩٠ حصاناً ويتصل بهِ مركبة من معدن الاليومينيوم الخفيف معلقة بهِ باسلاك من الفولاذ (الصلب) ولها رقَّاص فيهِ اربع مراوح من الفولاذ . وطول المركبة ١٧ قدماً وثقلها ٢٥٠٠ ليبرة

والآلة المحركة في وسطها وامام الآلة موقف الركاب ووراءها حوض البترول . وفي طرفي البلون اكياس تملأ هواء والهواء يدفع اليها بمروحة تديرها الآلة

والظاهر ان الدول التي تهتمّ الآن بصنع البلون الحربي تريد ان تستخدمهُ لرمي الديناميت على العدو كأنها وجدت ان المدافع بمقذوفاتها لا تفي بالغرض المطلوب فهي تريد الآن ان تستخدم البلون في الهجوم فلم تعد الغاية منهُ اجتماعية تجارية بل صارت حربية عدائيَّة . ويريد موءتمر السلم ان يمنع استعمالهُ لهذه الغاية لكن الدول الحربية لا تسلم بذلك على ما يظهر . وسواءٌ سلَّمت او لم تسلم فاستعمال البلون للسفر من مكان الى آخر ليس مما يتوقَّع شيوعهُ

وبينما صنَّاع البلون يهتمون باتقانهِ وجعلهِ خاضعاً لارادتهم يديرونهُ كيف شاؤُوا قام اخوان في اميركا واهتما بعمل طيَّارة كبيرة يطيران بها فنجحا في ذلك نجاحاً باهراً لانها تفوق غيرها مما صُنع لهذه الغاية ولانهما مارسا الطيران زماناً طويلاً فاتقناهُ كانهما فرخ الطائر الذي يمرنهُ والداهُ على الطيران حتى يشتد جناحاهُ ويصير يشعر بحركات الهواء ويحركهما الحركات اللازمة فيهِ . وقد حاول كثيرون غيرهما الطيران قبلهما فلم يفلحوا لانهم لم يصنعوا الآلة المناسبة ولم يمارسوهُ ويمرنوا انفسهم عليهِ التمرين الكافي فان الطيور موءلفة من لحم ودم وعظام مثل الانسان واجسامها اثقل من الهواء الف مرة والريش الذي فيها لا يصعب على الانسان ان يصنع آلة خفيفة مثلهُ

وقد صنع بعضهم آلات يديرها فتطير في الهواء من نفسها فمنذ ثلاثين سنة صنع رجل فرنسوي اسمهُ بنو آلة تطير من نفسها . كان هذا الرجل يطمع في ان يصير قبطاناً ولكنهُ اصيب بمرض في فخذهِ جعلهُ كسيحاً لا يستطيع المشي فعزم ان يصنع آلة يطير بها ودرس كل ما عرف الى عهدهِ من امر الآلات الطيارة ونواميس الهواء وصنع آلات صغيرة تدار فتطير من نفسها وحاول ان يصنع آلة كبيرة تطير مثلها ولو كان راكباً فيها فلم يفلح وعاد بالفشل ومات كمداً

واتفق ان بعض الآلات الطيارة التي صنعها وصلت الى اميركا واشترى مطران اوهيو واحدة منها واحضرها الى ولديهِ ليلعبا بها وكانت هذه الآلة تطير مسافة خمسين قدماً فسرَّ الولدان بها وجعلا يقلدانها ويصنعان آلات مثلها فيطير بعضها ورأيا ان الآلة الصغيرة اقدر على الطيران من الكبيرة . والظاهر انهما كانا يميلان بالفطرة الى عمل الآلات فانتقلا من عمل الآلات الطيارة الى عمل الدرَّاجات وجريا مجرى غيرهما من كثار " الكارات " اي انهما لم يفلحا ماليًّا مع انهما صنعا درَّاجة اصلح من غيرها . لان النجاح المالي يقتضي مهارة مخصوصة في ادارة الاعمال واكتساب الاموال

واتفق ذات يوم انهما قرأا عن موت للينثل الالماني الذي ذهب ضحية الطيران كما يتذكر قرّاء المقتطف وكان يعتقد ان الطيران مقدور للانسان وانهُ يتم بالممارسة وعلى من ارادهُ ان يطير ويقع ويطير ويقع الى ان يصير يطير ولا يقع فطار بالآلة التي صنعها او بالجناحين اللذين صنعهما نحو الفي مرة الى ان قوي ساعداهُ ورجلاهُ ولكن انكسرت آلتهُ وهو طائر فصار كالطائر المكسور الجناح ووقع فكسر رأسهُ ومات ٠ فأثر موتهُ فيهما ونبَّه الرغبة القديمة التي كانت كامنة في نفسيهما فبعثا الى برلين واشتريا نسخة من كتابهِ واقاما سنتين يتعلمان اللغة الالمانية حتى استطاعا قراءتهُ وفهم معانيهِ ومن ثم اخذا يقرنان العمل بالعلم في صنع آلات الطيران وذهبا في صيف سنة ١٩٠٠ الى التلال التي في ولاية كرولينا الشمالية حيث وجدا كثبانًا كثيرة من الرمال فصنعا اجنحة اضلاعها من الخشب واغشيتها من الانسجة الصفيقة كاجنحة الخنافيش وجعلا يتعلقان بها ويثبان من كثيب الى آخر كالجنادب كأَن قصدهما التسلية وتمضية الوقت

واتفق في السنة التالية أن رآهما احد كبار المهندسين وهما يثبان على هذه الصورة فقال لهما اتعلمان ايها الشابَّان انكما اقرب الى حل مسأَلة الطيران من كل احد

وهذا الرجل هو اكتاف شانوت كبير مهندسي شيكاغو واعلم اهل اميركا في مسأَلة الطيران وركوب الهواء ولهُ كتاب جليل في تاريخ آلات الطيران وما تقلَّبت عليهِ من الاطوار فكان لكلامهِ وقع عظيم في نفسيهما وللحال انتقلا من الهزل الى الجد وعزما ان يجعلا آلتهما للطيران لا للعب واصلحاها كثيرًا ولكنها بقيت حتى سنة ١٩٠٣ خالية من كل آلة تديرها او تدفعها اي انهما كانا يثبان من مكان مرتفع ويسبحان في الهواء سباحة الى ان يقعا على الارض في مكان بعيد عن المكان الذي وثبا منهُ ولم يكونا يطيران بآلة واحدة كلاهما بل كان كلٌّ منهما يطير بآلة او يسبح في الهواء بآلتهِ ٠ وتمتاز آلتهما في ان ذنبها كان امامها لا وراءها وهذا اهمُّ شيء فيها وبقيت كذلك الى سنة ١٩٠٣ وفي تلك السنة اضافا اليها آلة غازية محركة وفي ١٧ دسمبر منها طار احدهما ضد الريح وبقي في الهواء نحو دقيقة من الزمان وكان ثقلها مع ثقلهِ ٧٤٥ ليبرة وقوة الآلة المحركة فيها ١٢ حصانًا ٠ وطارا بها مرارًا كثيرة في السنة التالية من غير ان يخبرا احدًا او ينشرا عنها شيئًا في الجرائد ترفُّعًا منهما عن طلب الشهرة او جهلاً لوسائل الكسب ٠ وسنة ١٩٠٥ صنعا آلة ثقلها ٨٠٠ ليبرة طارا بها ست نوبات متوالية قطعا بها ٩٤ ميلاً

وهما رجلان الآن احدهما كبير الجسم جدًّا لا تظهر عليهِ دلائل الخفة والرشاقة والثاني

اصغر منهُ وانحف وابوهما المطران ريط رجل جليل القدر مسموع الكلمة وهو ينظر الى عملها نظر الاعجاب. وقد قابل الكاتب هربرت كاسون المستر اكتاف شانوت كبير المهندسين المتقدم ذكرهُ وسألهُ عن رأيهِ في آلة هذين الرجلين فقال " اني رأيتهما يطيران بها وانها صارت احسن من الآلة التي صنعها هو بوضعهما ذنبها امامها وبامور اخرى وقد فعلا ذلك كلهُ على نفقتهما مع انهما ليسا غنيين وهما مخلوقان ليكونا ماهرين في الاعمال الصناعيَّة . والمدهش حذاقتهما في ادارة آلتهما والتحكم فيها فقد رأيت احدهما مرةً طار بسرعة خمسين ميلاً في الساعة ووقع على الارض سالمًا "

وقابل رجلاً آخر اسمهُ روث رآهما يطيران وسألهُ عمَّا رآهُ فقال " لهُ لقد كان المنظر مدهشًا جدًّا وقفت امام الآلة وهي آتية نحوي في خط منحنٍ كأَنها قاطرة من الاليومينيوم لا عجل لها ولها جناحان طول كل منهما عشرون قدمًا محلقة في الهواء. كل احد من المشاهدين كان خائفًا مضطربًا الاَّ ذينك الأَخوين فانهما نزلا بآلتهما على تمام السكينة "

وسأل رجلاً آخر رأَى طيرانهما فقال لهُ " ياحبذا لو استطعتُ ان ادير اوتوموبيلي كما يديران آلتهما في الهواء فقد طار احدهما امامي اربعين دقيقة وحفظ آلتهُ على ستين قدمًا فوق الارض وكانت تسير بثبات وانتظام كأَنها قطار سكة الحديد وقد اعجبت بها ورفعت برنيطتي عن رأْسي وجلست انظر اليها "

وقابل الكاتب صانعي الآلة فقال لهُ احدهما " اننا صرنا نتحكَّم بآلتنا وركوبها كما نتحكَّم بالدراجة (البيسكل) وكان غرضنا من اول الامر ان نجعل هذه الآلة بحيث يستطيع راكبها ان يسير بها كيفما شاء كأَنها الدراجة فنلنا بغيتنا " وقال الآخر " اننا لا نفوق غيرنا خفَّة ومهارة بل نحن بالضد من ذلك كثيرا الاضطراب ويصعب علينا ان نملك طبعنا . وكل من يستطيع ركوب الدراجة والسير عليها يستطيع ان يركب آلتنا ويطير بها وما نجاحنا الاَّ لأَن آلتنا افضل من غيرها في احكامها وانطباقها على القواعد العلميَّة "

ثم ذكر الكاتب ما انفقهُ بعض الناس على الآلات الطيارة فلم يفلحوا في جعلها تطير براكبيها مثل السر حيرام مكسم الذي قضى اربع عشرة سنة يجرّب ويمتحن وأَخيرًا صنع آلة انفق على صنعها عشرة آلاف جنيه فلما طارت اسرعت في طيرانها وضربت سقف المكان الذي طارت فيهِ فتكسرت ومثل المسيو ادر الفرنسوي الذي انفق عشرين الف جنيه من مال الحكومة الفرنسوية على آلة للطيران ولكنها جاءت لا يمكن ادارتها والتحكم بها . ومثل الاستاذ لنغلي الذي مات وفي قلبهِ غصَّة لان آلتهُ طارت قليلاً ثم وقعت في الماء

ضعف الرجال امام المال

او نبوليون وصراف يهودي

كتب المستر بالي الانكليزي فصولاً متوالية في مجلة البال مال ابان بها مواقع الضعف من نبوليون الاول ومن ذلك فصل شرح فيهِ سبب اهتداء الانكليز الى قصد نبوليون حين حمل على القطر المصري · والحادثة التي ذكرها الكاتب ليست صحيحة بكل تفاصيلها لكنها موضوعة وضعاً حسناً قال فيها ما خلاصتهُ

جلس هرمن شتين في مكتبهِ يتلو كتاباً ورد عليهِ من يهودي آخر من صيارفة جنوى اسمهُ يوسف · وهرمن شتين هذا صراف يهودي الماني كبير الجسم حسن البزة . والكتاب يقال فيهِ ما تعريبهُ

وصلني كتابك الذي تاريخهُ ٩ يوليو وعلمت ما فيهِ ونحن مستعدون لان نشتري سندات الحكومة الفرنسوية (دركتوار) بسعرها بعد خصم ثلاثة اثمان فهل تشترون انتم السندات النمسوية بعد خسم ٢٧ وربع في المئة

ثم اني اعرض عليك امراً يهمني جداً وهو ان ابنتي صارت في سن الزواج وهي وارثتي الوحيدة فكل ما املكهُ لها واني مستعد ان اعطيها الآن ما يكفيها مدة حياتي اذا تم الاتفاق بيننا فاذا رغبت في ان يتزوج بها ابنك فارسلهُ الينا حتى نكتب شروط الاتفاق ويتعرَّف بها

ولما اتمَّ هرمن شتين قراءة الكتاب فتح عينيهِ وبلع ريقهُ ثم قرع جرساً فدخل الكاتب فقال لهُ قل لداود ان يأتي اليَّ

فدخل داود وهو شاب قليل الشبه بابيهِ وبالالمان عموماً ربعة نحيف الجسم اصفر الوجه فاعطاهُ ابوهُ الكتاب فقرأهُ ولم تبدُ على وجههِ امارة من امارات الاهتمام فقال ابوهُ حينئذٍ ان يوسف هذا العجوز لايزال على حالهِ ولا بدَّ لي من ان اطلب منهُ عمولة على تزويج ابنتهِ · هل رأيتها قط

فقال داود نعم رأيتها وقد لطمت وجهي وكانت في الثالثة عشرة من عمرها · فنظر اليهِ ابوهُ وقال لقد احسنت في ما فعلت وكان يجب ان اقتدي بها لانك لا تهتم بشيءٍ على ما يظهر ولكن ماذا قلت لها حينئذٍ

لم اقل شيئاً

اذًا لا تصلح لها ولا تصلح لك لانها اذا كان فيها اقل حميَّة فبلاتك تقتلها

فقال داود ان كان هذا الامر يهمك الى هذا الحد فساذهب الى جنوى حالاً وارى ما يمكن فعلهُ

كانت هذه الفتاة واسمها حواء على جانب عظيم من الجمال وهي وحيدة لابيها وابوها لا يهتم بشيء الا بها وبثروتهِ وكثيرًا ما يجعل الواحدة تخدم الأُخرى . واتى جنوى تلك السنة سكرتير نبوليون المسيو ده بورَين وحاول مصادقة الصيارفة اصحاب الاموال الوافرة (البنكيارية) . واراد الخواجه يوسف ان يستطلع منهُ امور نبوليون ومقاصدهُ لعلهُ يستفيد منها ماليًّا فدعاهُ الى بيتهِ وعرَّفهُ بابنتهِ فأُعجب بورَين بجمال وجهها وذكاء عقلها واكثر التردد على بيت ابيها بسببها ولم يستفد ابوها منهُ شيئًا لانهُ كان يلتحف برداء الجهل كلما اشار ابوها الى مقاصد بونابرت . وكان بورَين انيس المحضر فسرَّت حواء بعشرتهِ ولو لزم جانب الاعتدال لتزوجت بهِ وامتلك نبوليون مصر وتوّج ملكاً على كل البلاد الشرقيَّة . وكان ابوها يعلم مقدرتها العقليَّة والادبيَّة ولا يخشى ان يغويها بورين او غيرهُ فترك الأَمر لها

ثم جاء بونابرت جنوى فاستقبلهُ اهلها احسن استقبال خوفاً منهُ . وجاءها داود شتين ايضاً ولم يعلم بهِ احد وكان في جنوى لما دخلها بونابرت بموكبهِ العظيم فاطلَّ من شباك غرفتهِ ورأَى ذلك الموكب لكنهُ لم يحفل بهِ بل عاد الى كرسيهِ ثم استحم ونام وقام في الصباح وذهب ليرى ابا حواء . فرحَّب هذا بهِ احسن ترحيب وقال لهُ ان هذه هي مشيئة الله . ثم مضي بهِ الى بيتهِ ليريهُ ابنتهُ فوجدها جالسة مع المسيو ده بورين وهو يحاول اعتناقها ورأَى داود ذلك فغضَّ طرفهُ واقبل المسيو بورين على ابي حواء يتودَّد اليهِ ويقول لهُ انهُ يحب ابنتهُ وهي تحبهُ . فالتفتت اليهِ حواء وكذبتهُ وطلبت من ابيها ان يخرجهُ من بيتهِ لوقاحتهِ وقلة ادبهِ

وبعد كلام طويل لا محل لاعادتهِ هنا خرج المسيو بورين حافداً على حواء وابيها . وسأل داود ابا حواء عنهُ فقال لهُ انهُ سكرتير الجنرال بنوبابرت فلما سمع ذلك عبس وبدت على وجههِ امارات الاهتمام الشديد ولحظ ذلك ابو حواء فقال لهُ ما همك من امرهِ فقال اخاف ان يذهب الى بونابرت ويقول لهُ انك بقرة سمينة . ثم ما هو غرض بورين من المجيء الى جنوى . فقال هذا هو الأَمر الذي كنت اسعى للوقوف عليهِ بواسطة حواء . ثم جعل يسبهُ ويلعنهُ فقال لهُ داود انك كمن يدعو الذئب الى بيتهِ ثم يشكو منهُ . ولكن اما علمت منهُ شيئًا . فقال كلاَّ لم اعلم شيئًا مع اني رأَيتهُ في بيوت كل اصدقائنا ومعارفنا

فقال داود أي في بيوت كل الصيارفة اصحاب الاموال

فقال ابو حواء اتظن اذًا ان بونابرت ارسلهُ الى هنا ليرى هل يستطيع ان يقترض الاموال من صيارفة جنوى

فقال داود او ليرى هل يستطيع ان يغتصبها منهم . فاحمرَّ وجه ابي حواء وجحظت عيناهُ وجعل يشتم الساعة التي رأى بورين فيها

فقال لهُ داود اني اتيت الى هنا بسفينة اميركية وهي الآن في المرفإِ وربانها امين وعلمها محترم ولو كان عندي اموال في جنوى لكنت اضعها فيها كأنها حرير واتصرَّف في دفاتري حتى يظهر منها ان ليس عندي شيءٌ . ثم جعل يحاول اقناعهُ ليرسل كل ما عندهُ من النقود الى تلك السفينة باسرع ما يمكن وهذا يمانع ويتظاهر بالشجاعة وعدم الخوف من نبوليون . واخيرًا تغلَّب رأي داود على رأيهِ ومضى ذلك الليل في نقل الاموال كلها الى السفينة وتغيير الدفاتر ولم يسترح بال ابي حواء الاَّ بعد ان سلمهُ داود وصلاً بالاموال كلها وكانت مليونًا ومئتي الف فرنك

وذهب المسيو بورين من بيت حواء الى الدار التي كان بونابرت نازلاً فيها وحيَّى مرتين قبل ان التفت بونابرت اليهِ لانهُ كان مشغولاً بمطالعة جغرافية بركلي وتطبيقها على خريطة مصر ولما التفت قال بورين اني آتٍ للنظر في قائمة الصيارفة . فاشار بونابرت بيدهِ وقال غدًا غدًا . فذهب بورين وجاء من الغد قبل ان يلبس بونابرت ثيابهُ وكان الحلاَّق يحلق لهُ فجعل بورين يقرأُ لهُ جريدة المونيتر ثم صعد معهُ الى مكتبهِ وجلسا امام مائدة كبيرة وكانت قائمة الصيارفة ملقاة عليها وامام كل صرَّاف مقدار ما يمكن اخذهُ منهُ فنظر بونابرت اليها وقال ماذا تريد بشأْنها فقد امضينا امرها امس فقال بورين بقي صراف آخر يوسف صاحب قلاَّ منديلينا هذا يمكنهُ ان يدفع مليون فرنك

فقال بونابرت لماذا لم تخبرني عنهُ قبلاً

فقال بورين لم اكن اعلم انهُ على هذه الثروة الطائلة

فقال بونابرت اظنك حاولت ان يبرطلك فلم تفلح . فجعل بورين يحلف ويتبرأُ من هذه التهمة

فقال لهُ بونابرت قصّرها فاني اعلم طمعك وحبك للربح ولكن اياك ان تحاول الربح على ظهري فعاد بورين يقسم الاقسام الغلاظ مشيرًا الى امانتهِ وصداقتهِ . فقال لهُ بونابرت اليك عن كثرة الكلام اكتب اسمهُ في القائمة وارسلها الى سقري فاني اخبرتهُ ماذا يفعل

وقضى داود ثمين ساعات الصباح يمشي على رصيف البحر ثم مضى عصر النهار الى بيت

يوسف ابي حواء وكان يوسف مقيلاً فلما سمع ان داود جاء لزيارتهم نهض اليهِ واعتنقهُ وقال لهُ لم يحدث شيءٌ حتى الآن . فقال داود لا تأسف فانهُ لا بدَّ من حدوث شيء

فقال على ماذا الاسف ثم جعل يتكلَّم عن اموالهِ فقال لهُ داود اني اتيت لارى ابنتك واكلمها لا لاراك

فاجاب يوسف نعم ولكن الاموال باقية تحت امري واقدر ان اسحبها وقتما اريد اليس الامر كذلك اما انت فتعال معي وانظر حواء

ثم جمعهُ بابنتهِ فتكلما قليلاً وهو يظهر البلادة والتأني وهي تظهر الحدَّة والضجر الى ان اضطرَّت الى تركهِ مقطبة فخرج وعاد الى فندقهِ . وبلغهُ في اليوم التالي ان بونابرت القى القبض على اربعة من الصيارفة بحجَّة انهم يتعاملون مع النمسويين وان يوسف ابا حواء منهم فقام من ساعتهِ وسار الى بيت يوسف وكان مكتبهُ في جوار بيتهِ فوجد الحرس امام الباب واناساً في المكتب يقلبون الدفاتر واراد ان يقرع الباب فمنعهُ الحارس قائلاً ان اليهودي صاحب البيت أُرسل الى السجن . فقال داود عرفت ذلك منذ يومين فقال الحارس كذبت فانهُ لم يرسل الى السجن الاَّ اليوم فقال داود وما الفائدة من معرفة الحوادث بعد حدوثها وانا لا يهمني الرجل بل ابنتهُ وقد اتيت لاراها

فضحك الحارس ونادى جاويشهُ واخبرهُ بذلك فقال الجاويش اذا كان الامر كذلك فانا اديرلك ظهري ولكن ان كان لك غرض آخر فاحذر العاقبة . ثم دخل البيت معهُ وانطرح على مقعد في الدار واقبلت حواء والدموع ملء عينيها وقالت لداود ابي ابي . فقال لا تخافي لا ينالهُ اذًى . فالتفت الجاويش اليهِ وقال لهُ من انت حتى تجيب عن الجنرال . وقالت حواء يدَّعون انهُ اقرض الاموال للنمسويين . فقال داود لا خوف من بونابرت ثقي يا حواء وهذا كل ما اتيت لاقولهُ لكِ ثم حياها وخرج

فدهش الجاويش من ذلك وقال لحواء من هذا الحبيب وما هذه المحبة

اما داود فمضى من ساعتهِ الى حيث كان بونابرت وقال للحارس قل لمولاك ان داود شتين الذي كان شريكاً في بيت غنتر وغلدشيلد في همبرج يريد ان يراهُ في شغل مالي (وكان بونابرت يكره هذا البيت كرهاً شديدًا) فاذن لهُ في الدخول ونظر في وجههِ فلم يرَ فيهِ شيئًا غير عادي

فقال لهُ ماذا تريد مني . فقال اريد ان اقرضك مبلغاً من المال

فقال بونابرت من اعلمك اني في حاجة الى المال

فقال انت اعلمتني بقبضك على اربعة من الصيارفة

فنظر اليهِ بونابرت نظر الدهشة والغيظ ثم قال لهُ ومن اعلمك اني اوفي ما اقترضهُ

فهز داود كتفيهِ وقال لا بدَّ للانسان من ان يخاطر . ثم تثاءب والتفت الى ما امام بونابرت فوجد امامهُ خريطة مصر

فقال لهُ بونابرت ولماذا تقرض اموالك لي

فأجابهُ لاني وجدتك محتاجاً الى المال والاَّ ما كنت تنهب البنوك

فقال بونابرت احذر يا رجل كيف تتكلم معي

فقال داود اني اتكلّم كما يتكلّم التجار اصحاب الاموال وانا اعرف ان الكريديتو الذي لك رديءٌ جدًّا ولكني اعتقد مع ذلك انك توفي ديونك

فقال بونابرت اخطأت فاني لا اوفي شيئاً منها

فادار داود وجههُ وقال اذًا اودعك. ولما ادار وجههُ رأى كتباً في خزانة وبينها نسخة من القرآن

فقال لهُ بونابرت لا يمكنك ان تخرج قبلما اتم شغلي معك . كم تستطيع ان تقرضني

فقال داود اي مبلغ اردت الى حد مليون ونصف

فدهش بونابرت لانهُ لم يكن ينتظر ذلك وقال لهُ احذر يارجل لئلاَّ تكون كاذباً

فقال داود وعلى مَ اكذب

فقال بونابرت اذا لم يكن عندك هذا المبلغ فستندم حيث لاينفعك الندم

فقال لهُ داود انك لا تعرف المعاملات التجاريَّة ولكن لا عجب لانك رجل حرب لا رجل تجارة اما انا فاني داود شتين الذي كان شريكا لغنتر وغلدشيلد في همبرج وقد كنت في سفينة اميركية ومررت في طريقي على لسبون واوبرتو وقادس ومرسيليا واستوفيت بعض الديون التي لنا ووجدتك هنا تفتش حسابات البنوك ان لم اقل انك تنهبها وانا مستعد الآن ان اقرضك مليون فرنك فان كنت تريد ان تقترضها فهي تحت امرك

وجلس الاثنان يتساومان وكلٌّ منهما يجتهد ان يغبن الآخر وتم الاتفاق بينهما اخيراً على ان داود يقرض بونابرت تسع مئة الف فرنك ويستوفيها منهُ مليوناً وخمس مئة الف فرنك بعد ثلاث سنوات . وقال لهُ بونابرت الأمر مفهوم بيننا ان هذا الدين هو على الجمهوريَّة الفرنسويَّة

فقال داود كلاَّ ولعنة الله على الجمهوريَّة بل هو على الجنرال بونابرت بسندات تمضيها لي

باسمك . وبعد جدال طويل رضي بونابرت ان يمضي لهُ مئة وخمسين سنداً كل سند منها بعشرة الآف فرنك من غير ذكر للفائدة تدفع بعد ثلاث سنوات الى ثلاث سنوات ونصف . وللحال اخذ داود ورقة من الورق الرسمي الذي امام بونابرت وكتب صورة السند ورماها الى بونابرت وقال بغير اكتراث هل تقبل ان يكون جانب من النقود فضة . فقال بونابرت لافرق عندي . فقال داود حسناً ومدحهُ على مهارتهِ في المعاملة ونهض ليذهب فلم يجبهُ بونابرت لانهُ لم يعتد ان يسمع مدحاً من اناس يعدهم دونهُ بمراحل . وافترقا وكلٌّ منهما يحسب انهُ غبن الآخر وخدعهُ . واتفقا على ان بونابرت يسلم السندات لداود ذلك اليوم و يستلم النقود من السفينة

والنقود نقود يوسف ابي حواء . وكان لا يزال في سجن بونابرت متهماً بالمواطأة مع النمسا لكن الذين دخلوا مكتبهُ وفحصوا حساباتهِ وخزائنهُ لم يجدوا عندهُ شيئاً يذكر

ومضى يومان وداود يرقب الاحوال وحالما استلم السندات ارسلها بعضها الى ميلان والبعض الآخر الى باريس ورشا السجان حتى يعتني بيوسف ورشا الجاويش الذي على باب بيتهِ لكي لا يدع احداً يدخلهُ . ولما رأى المسيو بورين انهُ لم يوجد مبلغ يذكر عند يوسف اسقط في يدهِ لكنهُ اراد ان يستفيد من ذلك على كل حال حتى اذا حُدّدت الغرامة التي فُرضت على يوسف مضى الى ابنتهِ لعلّهُ يبتز منها شيئاً آخر فاراد الجاويش منعهُ بعلّة انها لا تريد ان ترى احداً ولكنهُ قال لهُ اذهب وقل لها ان المسألة تهمُّها وعليها تتوقف نجاة ابيها فاخبرها بذلك فقالت لهُ دعهُ يصعد . لكن الجاويش مضى واخبر داود حالاً لان داود كان قد رشاهُ ليخبرهُ بكل شيءٍ فاسرع اليها فوجدها وحدها وهي تبكي فقال لها لا يمكن ان يكون بورين اخبركِ شيئاً يبكيكِ . فقالت كيف عرفت انهُ كان هنا وكيف عرفت ان ليس في الامر ما يبكيني وقد قال ان مرادهم ان يقتلوا ابي اليوم . وكان داود يعلم ان ليس في الامر الاَّ غرامة وكان يعرف مقدارها فقلب شفتيهِ كأنهُ يهزأُ بها . فقالت لهُ كيف تفعل ذلك وانت تعلم ان ابي في هذا الخطر . فقال لو كنت اعلم انهُ في اقل خطر ما كنت اهزأُ ولكن اظن ان بورين قال لكِ ان اباكِ يُقتل ان لم ترشيهِ . فقالت نعم ان لم اعطهِ عشرين الف فرنك وانا ليس عندي شيءٌ . فقال حسناً وخرج وقصد الدار التي فيها بونابرت واستأذن عليهِ وبورين عندهُ وقام بورين لاستقبالهِ فقال لهُ امام بونابرت كيف تقول لابنة يوسف الصراف ان الجنرال يشنق اباها ان لم تدفع لك عشرين الف فرنك . قال ذلك ورفسهُ برجلهِ فوثب نبوليون كالاسد وقال لهُ كيف تتجاسر ان تفعل ذلك امامي . وقال بورين هذا الكلام كذب كلهُ . اما داود فجلس على كرسي من غير استئذان وقال مخاطباً بونابرت ان هذا الرجل فوَّر دمي فان ليوسف

الصراف ابنة جميلة وقد ذهب هذا الرجل وراودها عن نفسها ولما امتنعت عليهِ هدَّدها بالانتقام من ابيها وجاء واخبرك ان اباها من الاغنياء وانت تعلم كم وجدتم عندهُ بعد ان طرحتموهُ في السجن والآن ذهب اليها لينهب منها عشرين الف فرنك بحجة انك تقتل اباها ان لم تدفع هي لهُ هذا المبلغ

وكان بونابرت يتذكر كلَّ شيء ولم يبرح من بالهِ ان بورين لم يكتب اسم يوسف في القائمة اولاً ثم عاد فكتبهُ وكان يعلم انهُ يحب الاختلاس ويعرف اخلاقهُ . واخذ بورين يشتم الفتاة واباها ويتنصل من هذه التهمة ويذكّر نبوليون بخدمهِ الكثيرة لهُ

فقال لهُ داود ان كنت انا كاذبًا فلماذا ذهبت اليوم الى بيت يوسف وماذا قلت للجاويش ليقول لابنتهِ ولماذا صعدت اليها . والتفت فرأى امام بونابرت كتابًا موضوعهُ المماليك وكتابًا آخر في جغرافية مصر . والتفت بونابرت الى بورين وقال لهُ الم احذرك من ذلك يابورين من اول الأمر او تظن اني اجهلك . ثم التفت الى داود وقال لهُ وانت ماذا يهمك من امر هذه الفتاة وابيها

فقال داود انها جميلة وانا اريد ان اعمل خدمة لابيها لاجلها وانت تعلم ان اباها ليس غنيًّا كما ادَّعى بورين ولقد خدمتك خدمة كبيرة فاسمح لي بابيها

فقال بونابرت اظن انها جميلة جدًّا وعيناها تسبيان

فقال داود ليس اجمل منهما على وجه البسيطة

فقال بونابرت ان عينيها جميلتان ولكن عينيك غير جميلتين فلا اعطيك شيئًا لاجلها

فقال لهُ داود هل مرادك ان تفعل مثل بورين

فقال بونابرت اقول لك بصريح العبارة اني كنت عازمًا ان اغرم اباها بخمسة وعشرين الف فرنك لاني ما كنت اظن انهُ يمكنني ان احصل على اكثر منها اما الآن وقد وجدت رجلاً آخر يريد خلاصهُ فقد ارتفع ثمنهُ في عيني ولا اطلقهُ بأقل من مئة الف فرنك

فصرخ داود قائلاً هذا ظلم هذا نهب

فضحك بونابرت وقال من يطلب الجمال يجب ان يجود بالمال

وجلس داود يحاول تخفيض هذا المبلغ و بونابرت لا يحول عن كلامهِ واخيرًا قال لهُ داود اني ادفع مطلوبك والعنك في قلبي واقول انك نهّاب وغدًا صباحًا ادفع لك مئة الف فرنك فتطلق سبيل الرجل

فقال لهُ بونابرت هنئْ حميك عني يحبك لهُ . ثم سار معهُ الى باب الغرفة بلطف وتودُّد

وعاد داود في الصباح ومعهُ المئة الف فرنك وامعن نظرهُ في الكتب والخرائط التي امام

بونابرت وحولهُ فوجدها كلها عن مصر والشرق وأخذ منهُ الامر باطلاق ابي حواء

فسُرَّ ابو حواء باطلاقهِ سرورًا لا يوصف ووقع على عنق داود يقبلهُ ويبكي فرحًا ولكنهُ لما علم ان داود اعطى مليون فرنك من مالهِ لبونابرت اصطكت ركبتاهُ وكاد يقع مغشيًّا عليهِ وجعل يندب وينوح فقال لهُ داود اليك عن الحزن والندب ثم اخذ ورقة وكتب لهُ سندًا على محل ابيهِ بمليون واربع مئة الف فرنك تدفع حين الطلب وامضاهُ وسلمهُ اياهُ فدهش من ذلك وقال لهُ ان اموالي كلها مليون ومئتا الف فرنك فكيف تعطيني مليونًا واربع مئة الف فرنك . فقال لهُ داود انني اعطيت بونابرت مليون فرنك من اموالك بما فيهِ الغرامة واخذت منهُ سندات بمليون وخمس مئة الف فرنك وبعتها حالاً في ميلان وباريس بمليون ومئتي الف فرنك نقدًا اضيفت لحساب محلنا وكان قد بقي من اموالك في السفينة مئتا الف فرنك والجملة مليون واربع مئة الف فرنك وهذا سند بها كلها

فزادت دهشتهُ من هذه المهارة وعاد يقبلهُ ويبكي فرحًا

اما داود فانهُ صفّى حسابهُ مع ابي حواء ولكنهُ لم يصفهِ مع بونابرت بل ارسل اخبَر الحكومة الانكليزية بكل ما رآهُ من الكتب والخرائط امام بونابرت . فصدر امر نظارة البحرية الانكليزية بارسال اسطول كبير الى بحر الروم لاقتفاء خطوات بونابرت وان يعقد لواء هذا الاسطول للسر هوراشيو نلسن

واتى بونابرت الى مصر وتغلّب على المماليك وتبعهُ نلسن واوقع بعمارتهِ في ابي قير ومنع عنهُ المدد . ولما اطلق الاسرى ليعودوا الى مصر احضروا معهم كتابًا الى بونابرت من داود شتين يقول فيهِ بعد الديباجة

"لما كنت اتعاطى معك في مسألة القرض الصغير في جنوى رأيت ما امامك وحولك من الكتب والخرائط فاعلمت لورد سبنسر بذلك فدبَّر الانكليز ما بهِ الكفاية جزاء الغرامة التي طلبتها مني فدية لحميَّ الخواجا يوسف هذا مع الاحترام من داود شتيَن

من محل غتنر وغلدشيلد"

هذه خلاصة ما اوردهُ الكاتب ولم نرَ في كتب التاريخ التي بين ايدينا ذكرًا صريحًا لهذه الحادثة لكننا رأينا فيها ان مدينة جنوى اشترت حيادتها من بونابرت بمليوني فرنك وقرضتهُ مليونين آخرين . وسواءٌ كانت هذه الحادثة داخلة ضمن ما ذكرهُ التاريخ مجملاً او كانت مستقلة عنهُ او موضوعة فلا شبهة ان لارباب الاموال سلطة فائقة على الملوك والقواد من قديم الزمان الى الآن

هنيبال

القائد القرطاجني الشهير

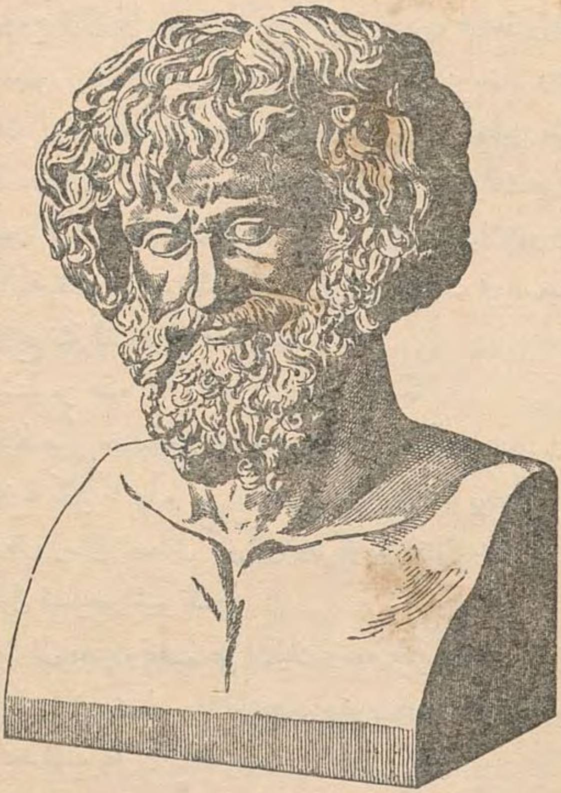

انما الرجال باعمالهم وقد تمرّ القرون وتطمس اخبار السراة والاغنياء ولكن الاعمال الكبيرة تخلد اسماء اصحابها القائمين بها ويروي التاريخ سيرتهم تمجيداً لاسمائهم وعبرةً للناس. هذا هنيبال او حنبعل(١) ابن هملكار القائد القرطاجني الملقب بالبرق. بطلٌ ابن بطل مرّت على اعماله السنون الطوال ولم يزل اسمهُ يرنّ في الآفاق ونحن الآن نلخص سيرتهُ لما في تضاعيف اخباره من الهمة الناهضة والوطنيَّة الصادقة والمعرفة الواسعة بابواب الحرب وقيادة الجند الَّا ان الكلام في شأنهِ يقتضي تمهيداً فنقول

كانت صور سلطانة البحار ومقر تجارة الامم وقد انتشرت مستعمراتها على كثير من سواحل البحر المتوسط وعرف رجالها البلاد القاصية حتى اذا وقعت فيها بعض الحوادث السياسيَّة خرج

---

(١) الكلمة فينيقية معناها حنان بعل او نعمة الله

منها نفر من اهليها بزعامة اميرةٍ من البيت الملكي اسمها ديدو وقصدوا سواحل افريقية الشماليَّة وخططوا هناك مدينة سنة ٨٧٨ ق ٠ م سموها قريت حدشت اي القرية الحديثة وحرَّفها الرومان والعرب فقالوا قرطاجنة فنشأت واتسعت وازهرت في مدى قرونٍ وضارعت صورًا في التجارة وسلك البحر وانشاء المستعمرات ولم تكن الدولة الرومانيَّة قد اعتزت فامتدت الى بعض الجزائر ازاء ايطاليا ومن جملتها صقلية (سيسيليا) وكان للرومان فيها بعض ممتلكات فلما رسخت اقدام القرطاجنين امتعض الرومان وداخلهم الحسد من اعتزاز مناظريهم حتى اذا لجأ اليهم قومٌ يُقال لهم المامرتين كانوا نازلين في بلدة ايطاليَّة من صقيلة اظهروا لهم العداء وناصبوهم الشر فابتدأت يومئذٍ الحرب سنة ٢٦٥ ق ٠ م وعرفت بالبونيَّة الاولى وظلت على احتدامها بين الدولتين مدة اثنتين وعشرين سنةً ٠ الَّا ان الظفر كان حليف الرومان فعُقد الصلح على ان يخلي القرطاجنيون جزيرة صقلية وكل الجزائر التي ازاء ايطاليا وان يطلقوا سبيل اسرى الرومانيين من غير فديةٍ ولا بدل وان يؤدوا نفقات الحرب مبلغاً يناهز ثلاثة آلاف ومئتي وزنة قيمتها الآن حوالا ستمئة وستين الف جنيه تدفع في مدة عشر سنوات

ولم يكن ظفر الرومان رخيصاً لانهم اشتروهُ بكثير من المال والرجال ٠ وبعد ذلك مضت مدة اثنتين وعشرين سنة ساد فيها السلام بين الدولتين واسترجعت كلتاهما قواها — على ان الرومان اغتنموا فرصةً سنحت بوقوع فتنة بين جند قرطاجنة من حامية سردينيا فدخلوا الجزيرة وطردوا القرطاجنيين منها فكأنهم عادوا فاوقدوا جذوة الحرب بعد خمودها ٠ الَّا ان قرطاجنة كانت قد استرجعت قواها ونظمت شؤُونها وفتحت في ايام السلام بلاد اسبانيا فملكتها بما فيها من مناجم الذهب واسواق التجارة وكثرة السكان الصالحين للجندية فوقع القتال وكانت الحرب سجالاً لكن الغلبة الاخيرة كانت للرومان فاذعن القرطاجنيون وخضعوا وظلَّ السلام سائدًا مدة ٥٢ سنة وفي ختامها عادت الحرب الى الاصطلاء وكان الرومان قد ازدادوا حولاً واقتدارًا بينما كان القرطاجنيون قد صاروا الى الضعف والوهن فلما وقعت الحرب الثالثة لم يكن لهم حصون يلجأُون اليها وانما جاهدوا بملء قوتهم لدفع العدو مدى ثلاث سنوات ثم أُخذت مدينتهم مهاجمة واحرقت فكان سكانها يقاتلون في الازقة والشوارع والدور تشتعل فوق رؤُوسهم ولما اعيتهم الحيلة التجأ منهم خمسة وخمسون الفًا الى القلعة فلم يقدروا على حفظها فسلموا وأُخذوا اساري وبيعوا عبيدًا واما المدينة فدكت الى الارض وفلحت بالسكة ورش عليها الملح رمزًا الى صيرورتها بلقعاً لا تصلح لشيء ثم غلبت رومة على كل ممتلكات قرطاجنة وضمتها اليها وصارت تلك الدولة اثرًا بعد عين ٠ وجل ما يعرف عنها

الآن مستفاد من سيرة الابطال الذين نترجمهم

ففي بدء الحرب البونية الاولى اي سنة ٢٦٥ ق٠م وُلد هملكار في قرطاجنة ونشأ فيها وترعرع حتى اشتهر امرهُ في الحرب والسياسة وحتى انتهت اليهِ زعامة حزب العامة لانهُ يروى ان حكومة قرطاجنة كانت مزيجًا من المبادئ المعروفة بالاريستوقراطية (حزب الاعيان) والديموقراطية (حزب العامة) اما هملكار فلا يعرف شيءٌ من امر دخولهِ في الجيش قبل السنة الثامنة عشرة من الحرب الاولى حين كان على امرة جيشٍ من ابناء قومهِ وكان النصر باسمًا لاعدائهم والحرب قائمة على قدم وساق في جزيرة صقلية وكلها بيد الرومان الَّا بعض المواقع على ساحلها الغربي فاتخذ موقعًا حصينًا يقال لهُ بلرينو قرب بلرمو وكان الخليج المجاور مرمىً لاسطول دولتهِ فشرع يغير الغارات الشعواء على الجزيرة حتى بلغ ساحلها الشرقي ثم تمادى بهِ الامر فصار يكتسح السواحل الجنوبية من ايطاليا وكلما لقي شرذمةً من الرومان ينكل بها حتى فاز الرومان بالظفر البحري على العمارة القرطاجنية سنة ٢٤١ ق٠م فكفَّ عن القتال ثم ارسلهُ قومهُ لعقد الصلح مع الظافرين فبذل قصاراهُ في تخفيف شروط الرومان ولكنهُ لم ينل كل اربهِ ٠ ولما عاد بجيشهِ الى بلادهِ اراد ان يعوّض على حكومتها ما خسرت من العزة والمكانة بفتوحاتٍ جديدةٍ في اسبانيا فاقرّت على انفاذ قصدهِ ولكنهُ تأجل عملهُ لان بعض جنودهِ المستأجرة فتنت وعصت طالبةً رواتبها مع ان خزينة الدولة كانت فارغةً عقيب نفقات الحرب الفاحشة فادّى هذا العصيان الى تجريد القوة لكبحهم ولكنّ العصاة غلبوا اولاً حتى اذا وسد اليهِ امر اخضاعهم زحف عليهم وواقعهم فغلبهم وسحق قوتهم فلما سكنت الامور تسنى لهُ سنة ٢٣٨ ق ٠ م ان يزحف لفتح اسبانيا فخرج اليها مستصحبًا معهُ ابنهُ هنيبال ليدربهُ على الحرب ٠ ووقعت الحرب الاسبانية فكانت شديدة هائلة الَّا انها لا يُعرف عنها شيءٌ سوى فوز هملكار بفتوحاتٍ جليلة وكاد يتغلب على اسبانيا كلها لولا ان فاجأَتهُ المنيَّة سنة ٢٢٩ ق٠م وهو لم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمرهِ

وخلف ثلاثة ابناء هنيبال وهدروبال وماكو فاما الاول فقد كان مولدهُ سنة ٢٤٣ ق٠م ونشأ في وطنهِ حين كانت الحرب ناشبة فيهِ وابوهُ في جملة الذين يجاهدون فيها محتملاً اشد ويلاتها حتى اذا عقد الصلح ونشبت ثورة المستأجرة ثم اخمدها ابوهُ بقوتهِ وتدبيرهِ وتهيأ لحربٍ زبون في اسبانيا اراد ان يمرّنهُ على متاعب القتال وان يريهُ كيف تفدى الاوطان بالارواح فلم يشفق على غصن حداثتهِ الغضّ بل عزم على استصحابهِ معهُ في سفرهِ وهو حدث في التاسعة من عمرهِ

ومع ان الحرب التي اراد هملكار ان يشهدها ابنهُ كانت في اسبانيا فانهُ لم يقصد بها نكاية شعوبها بل التعويض بغلبهم عما خسرت دولتهُ في حرب رومة فرومة اذًا مطمح انظارهِ والى عدائها سعى في توجيه عناية ابنهِ لينشأ خصمًا لدودًا للظافرين لا ينام حينًا عن ايذائهم ولذلك اخذهُ قبل السفر الى المعبد وهنالك وقف بهِ امام المذبح واستحلفهُ باعظم الايمان ان يستمر على عداء رومة مدى عمرهِ

فسار في ركاب ابيهِ وشهد المواقع الاولى التي دارت بين الهاجمين والمدافعين ولكنهُ لم يشترك في القتال حتى اشتد ساعدهُ. ثم مات ابوهُ ظافرًا سنة ٢٢٩ ق.م ويغلب على الظن انهُ خاض معهُ غمرات القتال لانهُ كان حينئذٍ في الثامنة عشرة من عمرهِ ولما انتهت القيادة بعد ابيهِ لاسدروبال صهرهِ لبث يحارب معهُ ويزداد دربةً في ابواب القتال وطرق القيادة واساليب السياسة والادارة بما اتسع لديهِ من مجال المشاهدات اذ كان اسدروبال قائمًا احسن قيام بامارتهِ يغلب الاعداء ويفتح البلدان والاقطار ويستدر المناجم الذهبيَّة وغيرها وما زال هذا حالهُ من التعلم والممارسة حتى قضى اسدروبال نحبهُ سنة ٢٢١ فوسدت القيادة الكبرى لهنيبال وعمرهُ يومئذٍ ست وعشرون سنةً الاَّ ان حداثة سنهِ لم تكن لتحول دون نهوضهِ بالواجب عليهِ لانهُ كان قد تمكن من الفنون الحربية واشتهرت شجاعتهُ وبراعتهُ وفوق هذا فانهُ كان عارفًا بسياسة البلاد ضليعًا بمناهج اسرتهِ جامعًا في ذاتهِ بين اقدام الشباب وحكمة الشيوخ وحنكة القائد المجرّب ورغيبة الشرقي ملطفةً بالتهذيب اليوناني الكامل وكان فوق ذلك زكيًا فصيحًا واسع الاطلاع صبورًا عفيفًا عادلاً مستقيمًا اذا فاتهُ الغلب بالسيف لا يعدم خدعةً لنيلهِ

وكان اسدروبال قد بلغ بفتوحاتهِ نهر الابرو فلما وسد الامر لهنيبال اهتمَّ بالتوسع في الفتح فزحف وحارب وظفر ولم يبقَ عليهِ الاَّ مدينة سغُنتوم وكانت نزالة يونانيَّة محالفةً لرومة فعزم على حصرها وضربها اتمامًا لرغائبهِ في الفتح ومزيدًا في نكاية رومة الاَّ ان الحكومة القرطاجنيَّة لم ترَ رأيهُ تجنبًا للتحرش بالدولة الرومانيَّة واخذًا برأى الحزب السائد في البلاد فلم يعبأ بما أُمر بل زحف بالمئة وخمسين الفًا الذين كانوا تحت امرتهِ واحطَّ على حصارها بمنتهى الشدة فدافعت دفاع الابطال المستميتين واقامت تعاني مضض الحصر ثمانية اشهر حتى اعيتها الحيلة فسلمت سنة ٢١٩ كل هذا ورومة تبحث في وجوب نجدة حليفتها او اهمالها حتى قطع الفتح حديثها. واما هنيبال فقد لوّث صفيحة نصره بالقسوة البالغة شأن الفاتحين الأقدمين الذين قلَّ منهم من رعى للمغلوبين حرمة بسالتهم وكانت غنائمهُ من المدينة المفتوحة عظيمةً جدًّا بحيث

امتلأَت منها ايدي العسكر وارسل من اطايبها الشيء الكثير الى قرطاجنة فدُهش لها الناس وصمت المتكلمون عليهِ وانحاز فريق من مقاومي سياستهِ الحربيَّة الى حزبهِ

واما الدولة الرومانيَّة فساءها الظفر القرطاجنيّ وارادت ان تكفر عن مطلها في نصرة حلفائها فارسلت تطلب من قرطاجنة ان تسلم اليها هنيبال قائدها الباسل فلما ابت إجابتها شهرت عليها الحرب فكان ذلك بدء الحرب البونية (الفينيقية) الثانية

ورأى هنيبال ان يتخذ في هذه الحرب خطةً كبرى للقتال اذ اتجهت مطامعهُ الى فتح رومة ودكها الى الارض . فعبأ جيشاً كثيفاً من الذين لم يمضِ على خضوعهم لدولتهِ الَّا الزمن اليسير . وبعث بشراذم من الاسبانيول لخفارة المتملكات الافريقيَّة ونهض في ربيع سنة ٢١٨ بجيش يناهز التسعين الفاً من المشاة واثني عشر الفاً من الفرسان وسبعة وثلاثين فيلاً وخرج من قرطاجنة الجديدة فعبر نهر الابرو ونكَّل في طريقهِ ببعض القبائل النازلة في الشمال الشرقي من اسبانيا وكانت على جانب من الشجاعة ثم اجتاز جبال البيرنه التي تفصل اسبانيا عن فرنسا وهنالك صرف بعض الفرق الاسبانيَّة من عسكرهِ اظهاراً لثقتهِ بمن بقي وجعل على خفارة الجبل جنداً معقوداً عليهِ لهانو القرطاجني المشهور واندفع يقطع المراحل بين البيرنه ونهر الرون مسرعاً بمن بقي معهُ من الجند وعدتهم حوالا تسعة وخمسين الفاً ولما بلغ الرون وعلى ضفافهِ قبائل محالفة لرومة لم يعبأ بها بل عبر النهر غير هيابٍ من بطشهم ومن بسالة جيرانهم الغالة وتجنب فرسان الرومان القائمين على قرب منهُ تحت امرة القائد الروماني المشهور كورنيليوس شيبيو الكبير الذي كان قد قدم بكتيبتهِ بحراً ونزل البر الغالي. وسار هنيبال بين نهري الرون وايزر حتى جبال الالب فصعَّد فيها واجتازها من الجانب الواحد الى الآخر . وقد اختلف رواة اخبارهِ في تحديد الموضع الذي اختارهُ مجازاً وكان الوقت خريفاً والعواصف شديدةً فزادت متاعب الجند واحتملوا من العناء اشدَّهُ في مدى خمسة عشر يوماً قضوها في تسلُّق الجبال والانحدار منها حتى اذا بلغوا الحضيض لقوا الامرَّين من خيانة قبيلةٍ غاليَّة يقال لها سانرونس الَّا ان همة القائد العظيم كانت كفاء الحاجة وبحسن تدبيرهِ حبطت مساعي الهاجمين وتيسرت اسباب النقل من فوق تلك الحطام ولكن الجيش الذي احتمل العناء الشديد خسر الخسائر الفادحة اذ لم يسلم منهُ الَّا عشرون الفاً من المشاة وستة آلاف من الفرسان

وكان قد سبق لهنيبال ان عاقد بعض القبائل النازلة وراء الالب على عصيان الدولة الرومانية فلما اجتازت جنودهُ الجبال شقوا عصا الطاعة وانضموا الى القرطاجنيين وزحف بهم في جملة عسكرهِ الى مدينة كانت تناصبهم العداء يُقال لها تورينيوم وهي تورين الحاليَّة فملكها

وكان شيبيو الكبير قائد الرومان لمَّا فاتهُ نزال هنيبال في الجانب الغربي من الالب قد عاد فركب البحر ونزل البر في شرقي الالب ليمنع القرطاجنيين من التقدم فلقيهُ هنيبال وجمع فرسان جندهِ وخطب فيهم خطاباً حماسيًّا فاندفعوا على الرومان وكسروهم كسرةً هائلةً ردتهم على اعقابهم حتى مدينة بلاسنزيا وهي بياسنزا الحاليَّة

وحدث ان قائدًا رومانيًّا آخر يقال لهُ سمبرونيوس قدم بجيشهِ من صقلية ولم يلحق بفل شيبيو الى المدينة المحصَّنة فلقيهُ القرطاجنيون وعليهم ماكو شقيق هنيبال فوضعوا لهُ كميناً اجلى عن انكسار الرومان كسرةً هائلة ذهبت بمعظم جيشهم ولم يبقَ منهُ الاَّ نفر قليل

فلما رأى رجال الدولة الرومانية ان هنيبال احرز الظفر في كل المواقع نهضوا للدفاع عن حوزتهم وارسلوا سرڤيليوس وفلامينيوس اللذين انتخبوهما قنصلين ليذودا عن اومبريا واتروريا لانهم حسبوهما عرضةً لهجوم هنيبال فاختار لاجتياز جبال الابنيين منفذًا غريبًا فكان مرورهُ فيهِ محفوفاً بالمصاعب والمتاعب حتى انهُ لم يسلم لهُ من فيلتهِ الاَّ فيل واحد ثم عبر السباخ المجاورة ارنو ولقي فيها اشد الاهوال ومن انكاها ان فقيئت احدى عينيهِ . ولكنهُ مرَّ بمدينة اربتيوم (اريزو) وكان القائد فلامينيوس مخيماً فيها بعسكرهِ فلما علم بمرورهِ نهض لملاقاتهِ ونزل في مضيقٍ بين كورتونا وبحيرة بيروجيا فباغتهم القرطاجنيون بالهجوم من الامام والوراء في وقت واحد ووقع القتال فقتل من الرومان كثيرون وغرق آخرون في البحيرة واضطر الباقون الى التسليم اما قائدهم فراح قتيلاً وبعد انتهاء الموقعة وصل ساحة الوغى اربعة آلاف فارس روماني ارسلهم سرڤيليوس لنجدة رفيقهِ فلقيهم القرطاجنيون واذاقوهم الكأس التي شربها رفاقهم

يومئذٍ صدق حدس هنيبال من ان الظفر لمن يضرب الضربة الصائبة اولاً لانهُ حتى ذلك الحين لم يكن الاَّ منصورًا على ان الرومان تتابعت عليهم اخبار انكسارهم فهلعت قلوبهم على شدتها واصبحوا يوجسون خوفاً حاسبين هنيبال قد صار على قيد اصبع من عاصمتهم واكثروا من التحدث في ذلك حتى ضرب المثل اللاتيني بما تعريبهُ هنيبال على الابواب يقال لمن يحذر خطرًا قريباً

ولكن الخطر متى دنا من مثل الرومان همةً وبسالةً يستنهضهم لاجهاد النفس في دفعهِ فاقرّت ندوتهم العليا (السناتو) على عقد الامارة الكبرى لفابيوس مكسيموس وعلى تحصين رومة

كان هنيبال عارفاً بمقام الرومان من البسالة والدربة وانهم قومٌ اذا استماتوا عزَّ عليهِ ان ينال منهم اربًا فعزم ان يستبدل القوة بالحيلة والدسيسة بحيث يستنفر الخاضعين لرومة وحلفائها ويسعى باخراجهم عن طاعتها قبل ان يحمل عليها . وعلى ذلك زحف الى بينوم وشرع يعيث في البلاد قتلاً ونهباً وخراباً لان سكان ذلك القطر كانوا من اشد الناس لرومة

فلما علم فابيوس بما كان برز من العاصمة بجيشهِ الكثيف وقصد لقاء الظافر ولكنهُ لم يسر اليهِ حثيثًا بل زميلاً حتى لقبهُ الناس كونكتاتور اي البطيء ولما صار على مقربة منهُ شرع يتبعهُ كظلهِ ويضرب في اقفية عسكرهِ كلما سنحت الفرصة ويقف في سبيل تطرقهِ الى الايذاء ولكنهُ يجتنب الموقعة الفاصلة . فكان عملهُ هذا مفيدًا لرومة اذ اتسع لها الزمن الذي تقتدر فيهِ على تعبئة الجيوش واعداد الميرة والذخيرة

وكانت حنكة القائدين ودربتهما عظيمة تتعادلان في كثير من شؤُونهما اعتبر ذلك بما كان من القائد الروماني حين رأى ذات مرةٍ ان عدوهُ واقف بجيشهِ في مضيق بين الجبال فاحاط بهِ من كل جهةٍ وضيّق عليهِ غير ان هنيبال كان كفءَ الخطوب فانبرى واستحضر الفي ثور وربط على قرونها خشبًا واوقفها في الليل الداجي فوق مرتفع من الجبل ثم اشعل الخشب فظن الرومانيون ان العدو يقتحمهم على غرةٍ فافرجوا عن بعض مواقعهم وتم للقرطاجنيين ما اراد قائدهم

الَّا ان تأني فابيوس لم يكن مقبولاً لدى رجال دولتهِ ولا امراء جيشهِ فحدث ذات مرةٍ انهُ كان غائبًا فلاحت لقائد فرسانهِ مينوشيوس فرصة منازلة العدو ففعل ونال بعض الظفر فسرّت رومة بفعلتهِ واشركتهُ مع فابيوس في الامارة الكبرى فطفر سرورًا وحملتهُ الجسارة على اغتنام فرصةٍ اخرى حمل فيها على الاعداء فاثخنوا فيهِ وكاد يبيد جيشهُ لولا اسراع فابيوس لنجدتهِ

ورأى هنيبال ان مقامهُ في بلاد العدو محفوف بالاخطار فكتب يستحث حكومتهُ على ارسال المدد ولكن اعداءهُ عارضوهُ بان لا حاجة للنجدة وهو ظافر منصور وصادفت معارضات خصومهِ قبولاً لان يد قرطاجنة كادت تقصر عن المزيد لاسيما وان اسدروبال اخا هنيبال كان على امرة جيش كثيف في اسبانيا يحارب بعوث الرومان اليها بقيادة الاخوين من آل شيبيو

فظلَّ هنيبال تهملهُ حكومتهُ وهو قائمٌ على امرتهِ يدبر امرهُ بنفسهِ فرأى من الضرورة ان يضرب الرومانيين ضربةً فاصلة تهدم اركان حلفتهم وتضعف قواهم وما لبث ان سنحت لهُ الفرصة اذ وقع الاختيار سنة ٢١٦ على تورنتيوس فارو قنصلاً واميرًا للجيش وكان جسورًا متهورًا وكان هنيبال نازلاً في سهلٍ خصيب قرب كانيا على ضفاف نهر اوفانتو وتحت امرتهِ خمسون الفًا من الابطال وكان عدد الجيش الروماني ثمانين الفًا وعليهم فارو المذكور وقائد آخر اسمهُ اميليوس باولوس فلما وقع النزال احتدم من الحرب ايّ احتدام واظهر هنيبال من المهارة في الترتيب والتدبير ما لا يعرفهُ القائدان الرومانيان وخدعهما خدعًا كثيرًا ورماهما بنخبة فرسانهِ الابطال فاثخن في العدو قتلاً وجرحًا حتى هلك الجيش الروماني اوكاد وبلغت عدة قتلاهُ

خمسين الفاً على قولٍ وسبعين الفاً على قولٍ آخر من جملتهم القائد اميليوس باولوس وكثيرون من الاعيان والابطال ولم ينجُ من الرومان الاَّ بضعة رجال فيهم ڤارو فلم يكن من ندوة البلاء الاَّ ان شكرت همتهُ واثنت على بسالتهِ قائلةً ان الجمهورية لا تقنط فادرك هنيبال من هذا القرار ان الرومان قومٌ اباسل لا يقنطون من النجاح ولذلك ابى العمل برأي ابيهِ في وجوب الحملة سريعاً على رومة واقام في جنوبي ايطاليا حيثما استولى على مدينة كابو وعسكر فيها فاستهوت المدينة برخائها ورغيد عيشها ابطالهُ واضرّت بنظامهم وجاءتهم الامراض فآذتهم

وكأن نجم سعدهِ كان على وشك الافول لانهُ ما عتم ان توالت عليهِ الاحن اذ غلبهُ القائدان مارسلوس وفابيوس في نولا واتصلا الى حصر سيراكوسة والاستيلاء عليها لانها حالفت هنيبال فلما علم فيليب الثاني ملك مكدونيا بما صارت اليهِ عدل عن محالفة قرطاجنة

واما في اسبانيا فان القرطاجنيين كانوا قد ظفروا بعض الشيء وقُتل قائداهم ولكن شيبيو الصغير تقلد الامارة على الرومان وحارب وظفر باسترجاع ما خسر ابوهُ وعمهُ

واتصلت هذه الانباء بهنيبال وعلم ايضاً ان الرومان فتحوا صقلية وشرعوا يرسلون بعوثهم الى سواحل افريقيةَّ يفسدون في متملكات قرطاجنة ولما علم الجند بذلك هلعت قلوبهم فسار بهم سنة ٢١٢ لفتح مدينة تارنتم ولكن الرومان كانوا من ورائهِ يفتحون المدن التي دانت لهُ وحصروا كابو وضيقوا عليها فلم يقوَ على رفع الحصار بل ترك العدو على عملهِ وزحف على رومة فبلغها سنة ٢١١ ولكنهُ لم يجنِ نفعاً لان الرومان كانوا اكفاء الخطوب وما لبثوا ان فازوا بامتلاك كابو وبصيانة تارنتوم وبالغلبة في موقعة هردونيا سنة ٢١٠ فاضطر ان يقوم على الدفاع ولم يظفر بعد ذلك بنصر يستحق الذكر الاَّ بالقاء مارسلوس القائد الروماني في كمين عند فنوسيا سنة ٢٠٨ حيث اودي بهِ . ولم يبقَ لهُ من املٍ الاَّ بالمدد الذي كان يتوقع وصولهُ اليهِ من اسبانيا حيث كان اخوهُ اسدروبال زاحف لنجدتهِ بجيشٍ كثيف الاَّ ان الرومان اعدوا لهُ جنداً وعقدوا عليهِ لقائدين مشهورين هما ليفيوس وكلوديوس نيرو وكان ثانيهما في جنوبي ايطاليا يرصد حركات عدوهِ فاسرع السير الى حيث انضم الى زميلهِ ووقف كلاهما لاسدروبال ثم واقعاهُ سنة ٢٠٧ فكسراهُ كسرةً هائلةً حطمت الجيش القرطاجني وخيبت آمال هنيبال لا سيما بعد ان رأى رأس اخيهِ ملقىً بين معسكرهِ بأمر الظافرين . الاَّ ان بأسهُ لم يعدمهُ الاهتمام بمتابعة القتال حفظاً لشرف دولتهِ فظلَّ محارباً في جنوبي ايطاليا حتى سنة ٢٠٣ حين استدعتهُ بلادهُ اليها فأسرع الكرَّة ليدفع طارئة العدو لان شيبيو الصغير كان قد دوَّخ اسبانيا وركب البحر الى افريقيةَّ واتجه صوب قرطاجنة ليقيم الحرب العوان في عقر دارها

ولما وطئت قدماهُ بلادهُ بعد غيابٍ طويل شرع يكتّب الكتائب فتسنى لهُ حث السرايا من نخبة الفرسان واندفع بهم وبسائر الجيش على ماسينيا صاحب نوميديا الذي كان الرومان قد استمالوهُ وحالفوهُ على نصرتهم فضربهُ ضربةً هائلة ثم شرع يخابر شيبيو في المصالحة ولكن المساعي السلمية خابت وعادوا الى القتال فالتقوا سنة ٢٠٢ وكان جيش الرومان يومئذٍ اقل عددًا ولكنهُ اكثر دربةً وانتظامًا فانتصر

ومما يروى ويدل على تأثير الاوهام وسوء نتائجها ان الناس يومئذٍ كانوا يوجسون خوفًا من الظواهر الفلكيَّة زاعمين ان لها علاقة بالبشر وحكمًا في اعمالهم فلما كانت الوقعة كسفت الشمس فارتاع المستأجرة في الجيش القرطجني ووقع فيهم الرعب فكانت الغلبة لعدوهم وبها تمت مواقع الحرب البونية الثانية. واما رومة فقد اشترطت للصلح شروط الظافر فارتضتها قرطاجنة تخلصًا من وبال الحرب وكان هنيبال قذًى في عيون الرومان وشجًى في حلوقهم ولذلك سعوا منذ عقد الصلح فنالوا من حكومتهِ عزلهُ عن امارة الجيش فدخل الخدمة الادارية وبالنظر لسمو افكارهِ واقتدارهِ ما لبث ان ارتقى الى اعلى خططها واحدث في الادارة اصلاحاتٍ جمة في العدلية والملكية والمالية حتى اعاد الى الخزينة ما فقدت من الثروة وعطف بالسياسة الحكيمة الراشدة فاسترضى بعض الممالك وحالفها وكان يشدد النكير على مختلسي اموال الدولة ومحتكري مناجمها فناهضوهُ باشد العداء واوغروا صدر الرومانيين عليهِ حقدًا زاعمين انهُ يعمل ما يؤَدي الى حربهم فبعثت رومة وفدًا الى قرطاجنة يسعى في قتلهِ فعلم وطلب النجاة بالفرار من بلادهِ الى صور ومنها سار الى بلاط انطيوخس الكبير ملك سورية وكان انطيوخس يتأهب لمحاربة رومة فحملهُ هنيبال على اعلان الحرب وكاد يظفر بمناهُ من الرومان لو لم يرَ انطيوخس ان يصغي الى مشورة رجالهِ الذين خافوا ان يسبقهم هنيبال الى فخر الظفر بما لهُ من سابق الشهرة فلم يعبأ بخطة هنيبال وهي ان يهاجم الرومان في عقر دارهم بالاتحاد مع قرطاجنة ولا منحهُ قيادةً في جيشهِ المحارب بل امَّرهُ على اسطولٍ سيَّرهُ لفتح رودس فلم يفلح الاسطول بالرغم عن بسالة قائدهِ ولما غُلب انطيوخس طلب الرومان اليهِ ان يسلم هنيبال وعلم هذا بطلبهم ففرَّ هاربًا الى الملك بروسياس صاحب بيثينيا وهناك حرض الملك على محاربة رومة ونال نصرًا في قتال عدوهِ صاحب برغاموس فلحق الرومان بهِ الى هناك وارسلوا فلامينيوس سفيرًا يطلبهُ من بروسياس فاذعن وامر بالقبض عليهِ لكن هنيبال شرب السم ومات حرًّا وكان ذلك سنة ١٨٣ ق.م

ر. ن

التقمص

لا يخفى ان الامم في حال بداوتها كانت تستفدح الموت ولا تفقه فيهِ معنى الفناء والاضمحلال التام بل لم تكن تفرق بين الموت والنوم والاغماء الَّا ان الموت يستغرق من الوقت اكثر مماَّ يستغرقهُ النوم والاغماء

واذا وثقنا بشهادة ابي التاريخ هيرودوتس يكون المصريون اقدم الشعوب اعتقادًا بالخلود واول القائلين بمبدإِ التقمص · ومن عقائدهم ان النفس عند الموت تدخل جسم حيوان ومن ثم تنتقل منهُ فتتخذ اشكال جميع الحيوانات الارضية التي تعوم في المياه وتدب على الارض وتطير في الهواء وتعود بعد تطوافها هذا مدة ثلاثة آلاف سنة الى جسد الانسان الذي خرجت منهُ · وقد انبأنا فلوطرخس عن اعتقاد المصريين بوجود سلطنة اخرى للموتى تسمى امانتث يتسلط عليها اوزيرس تحت اسم سرابس ويؤيد هذا القول معظم النقوش المرسومة على توابيت الاجسام المحنطة · واذا تابعنا بورفيرس نقول انهُ كان للمصريين ايضًا صلاة يتوسلون بها الى الشمس والى غيرها من الالهة لتقبلهم بعد الموت مع جمهرة الالهة الخالدة

اما التقمص عند الهنود فعلى غير ما ذهب اليهِ المصريون واعتقدوهُ ذلك لان الهنود لم ينشغلوا انشغال المصريين بالمحسوسات بل انصرفوا الى المباحث النظريَّة ولذلك البسوا مبدأ التقمص رداءً روحيًّا فقالوا ان كل ما في العالم منبثق عن برهما وان الروح والجسد هما آخر ما ينبثق عنهُ وانَّ اتحاد النفس بالجسد سقوط من شأن النفس وحطة من مقامها الرفيع لان الشر يتطرق اليها من كل ما يلامسها من احوال هذه الدنيا واعمالها من الشعور والمسرات والآلام وتكون نهاية النفس ان تموت عن جميع هذه الاشياء وترتفع اخيرًا بالتأملات وبالراحة المطلقة الى حضن الالهة حيث خرجت على ان وجود النفس في هذا العالم كان لتكفّر عما تكون قد ارتكبت في حياةٍ سابقة فاذا لم ترتدع ويأخذها الندم وتهذّب بالمعارف كما كان شأنها في الحياة الاولى يحكم عليها ان تمرَّ من جسدٍ الى آخر بالتتابع من الاعلى الى ما دونهُ ومن ثمَّ بعكس الامر فترتفع من الادنى الى الاعلى ذلك على قدر ما تكون النفس عليهِ من حالتي الخير والشر · وهذه الاقوال تعلمها فلسفة فيسشكا وبموجب تعاليم فادانتا لا تكون النفس منبثقة عن برهما ولكنها جزءٌ منهُ او هي كشرارةٍ من نار ملتهبة ليس لها ابتداءٌ ولا انتهاءٌ وما الموت والولادة الَّا غريبان عنها ولا تستطيع عمل شيءٍ الَّا التردي اياماً بالرداء الجسدي وهي مع هذه الحالة تلقى عذابًا مرًّا وتخبط غضون تلك الايام في ظلمات الجهل وتخضع لحالتي الفضيلة

والرذيلة وتمرُّ بالتتابع في جميع الاجسام من كل الموجودات الالية من النبات حتى الانسان وليس لها ملجأٌ ينقذها من مخالب الألم ومواضع الهوان ويرجع بها الى حظيرة النفس العامة الاَّ العلوم المقدسة . وهذه العلوم لا تقوم فقط بتجرد الانسان من كل ارادةٍ بل بتجردهِ ايضاً من كل عاطفةٍ ومن كل وجود ذاتي وبذلك تسرع بالرجوع الى الله كسرعة النهر في انحدارهِ الى البحر

اما الفرس فخلاصة اعتقادهم مدوَّنة في كتب الزندافستا المقدسة وهي انهُ في اواخر الايام يكون يوم الحساب فتجتمع نفوس الموتى وتعود الى الاجسام التي كانت لها قبل الموت وبعد مناقشة الحساب تذهب كل نفس وجسدها اما الى الفردوس ان كانت صالحة لتتمتع معهُ بالنعيم الدائم واما الى الجحيم ان كانت طالحة لتلقى معهُ عذاباً مرَّاً . على ان عذاب جهنم يبرر الخطاة فيصعدون اخيراً الى الفردوس حيث تكون الراحة والسعادة الابدية للروح والجسد معاً . وانك لتجد في هذا القول ذات المعنى الذي اعتقدهُ المصريون والهنود وان تراءى للناس في شكل جديد يباين الاشكال التي ظهرت فيها هاتيك الآراءُ وذلك المعنى وهو ملازمة الروح للجسد بعد الموت ووقوع العذاب او نيل السعادة لهما معاً في العالم الثاني

ولقد روى البعض اخذاً عن التقليد ان مبدأ التقمص سار من مصر الى اليونان الاَّ ان هذا الرأي لا ينطبق في شيء على مرويات التاريخ الذي انبأنا ان اليونان اعتقدوا التقمص وقالوا بهِ زمناً طويلاً قبل ان امَّ مصر روَّادهم وقبل ان اتصلت علائق الشعبين . وللباحثين آراءٌ غير هذه وادلة كثيرة تؤيد ان التقمص وطني في بلاد اليونان لم ينزح اليها من مصر والهند لما في اقوال الامتين من التباين مما يحكم ببعد الصلة بينهما وان عقيدة كلٍّ منهما نشأة ارضها . وكيف كان اصل هذه العقيدة والبلاد التي صدرت منها فانا نعلم ان هذه الامة ابرزت مبدأ التقمص في شكل ينطبق على قرائح اهلها ويلائم حالهم من الحضارة والعرفان لاسيما وان فيثاغورس حاكهُ على منوال جديد اقصاهُ بهِ عن آراء حكماء الكنج القائلين بتطواف النفس في جميع اجساد الموجودات والحاصرين تكيفاتها ضمن الحياة الحيوانية ولا حكم عليها حكم كهان المصريين في وجوب دخولها في اول جسم تلقاهُ عرضاً بعد فراقها الجسد بل جعل لذلك الاتحاد شروط الموافقة وحكم بوجوب المطابقة بين النفس والجسد الذي تتقمص فيهِ وقال ان الاشقياء يتيهون في قفار الترتر حيث ترتعد فرائصهم وتهلع قلوبهم لاستمرار قصف الصواعق ودوام دويها وعكس ذلك الصالحون يقيمون في اعلى مكان من العالم يتمتعون فيهِ بالسعادة والنعيم

واتبع افلاطون خطة فيثاغورس وحاول ادعامها بالادلة التي ترفع بها الى مقام النظريات الفلسفية ووافق فيثاغورس برجوع النفس الى الحياة بعد الموت وانها في تضاعيف تلك المدة تقوم في جهنم زهاء الف عام . ولم يذكر الخلود في عرض الكلام عن مبدإ التقمص الذي اتبع فيهِ سنة التقليد ولكنهُ المع في خلال ذلك الى ان الخلود الروحي مخصص للفلاسفة دون سواهم ومع ذلك لم يتبع مذهب فادانتا القائل ان نفوس الحكماء تستغرق في الله وتعيش معهُ وتشاركهُ في نقاوتهِ وسعادتهِ وحكمتهِ

والقول بالتقمص لم يمت لموت افلاطون وانما جرى على سنة الارتقاء فازداد اتساعاً وعمَّ انتشاراً حتى اراد زعماء مدرسة الاسكندريَّة مزج الفلسفة اليونانيَّة بالتعاليم الشرقيَّة. اعتبر بما كتبهُ بورفيرس الصوري في هذا المعنى ومما قالهُ مأخوذاً عن اليونان من ان النفس وجدت في عالم سابق وانها ارتكبت هنالك من المنكرات ما أوجب عليها اتخاذ لباسها الجسدي في هذا العالم تكفيراً لسيئاتها السابقة . الَّا انهُ لم يذكر شيئاً عن دخولها في اجسام الحيوانات الاخرى

واليك رأياً آخر في التقمص وضعهُ اهل التقليد (القابلون) من اليهود قالوا ان النفس كغيرها من الخلائق في هذا العالم من خصائصها الرجوع الى الجوهر الآلهي ولكي يتم لها هذا الرجوع يجب عليها ممارسة كل الكمالات التي تكون بزورها موجودة فيها بطبيعتها واذا لم يتهيأ لها استيفاء هذه الشرائط في الحياة الاولى فانها تقوم بها في حياة ثانية ومن ثم يليها حياة ثالثة لها شؤُون ووسائل جديدة لتحصيل ما فاتها من الفضائل ابَّان الحياتين السابقتين على ان هذا المنفى تقصر مدتهُ حين تنال كفاءتها من التطهير وممارسة الفضائل وتصلح لاتحادها مع الله . وهنا نرى جماعة اهل التقليد اتبعوا رأي بورفيرس في حصر التقمص ضمن الحياة الانسانية

وشاع هذا الرأي عند الاسرائيليين فاعتقدوهُ مع الاعتقاد بقيامة الموتى وقالوا بهما زمناً طويلاً وسار منهم الى النصارى مع خلو المسيحية وتعاليم الكنيسة من اشباه هذه العقائد ولكنها اتصلت بجماعة من النصارى من تعاليم اليهود والوثنيين يؤيد ذلك رسالة القديس ايرونيموس الى ديمتريادس حيث قال فيها ان مبدأ استحالة النفوس ظلَّ زمناً طويلاً يعتقد بهِ النصارى الاولون وان ادريانوس بسط هذا المبدأ في كتاباتهِ وفسَّر بهِ بعض آيات التوراة من مثل عراك يعقوب وعيسو قبل ولادتهما واختبار ارميا وهو في بطن امهِ وغير ذلك مما اوَّلهُ بوجود النفس في عالم سابق لعالمنا. وفوق هذا ان نفراً من الكهنة الاسكندريين ادخلوا مبدأ التقمص في تفسيرهم لسفر التكوين اذ قالوا ان الله لم يخلق العالم لاظهار قوتهِ وتمجيد اسمهِ وانما قصاصاً للنفوس التي اخطأَت في السماء

وجملة القول ان الاعتقاد بمبدإ التقمص وجد عند كل الامم القديمة ولكن وجوده كان تابعاً لحالة الامة من الحضارة والعرفان فتراهُ عند اليونان والهنود والفرس وغيرهم من الامم الراقية قد اتخذ الشكل الفلسفي وعند غيرهم من الشعوب الضاربة في البداوة مجرداً عن المبادىء النظرية يتخللهُ من الاساطير الواهية والحكايات الموضوعة ما ينطبق على عقول تلك الاقوام • اعتبر ذلك باعتقادات العرب في التقمص زمن الجاهلية فقد قالوا بهِ في ابسط وجوههِ من مثل حكاية الهامة فكانوا يقولون ليس من ميت يموت ولا قتيل يقتل الاَّ ويخرج من رأسهِ هامة فان كان قتل ولم يؤْخذ بثأرهِ نادت الهامة على قبرهِ اسقوني فاني صدئة · وورد في مروج الذهب للمسعودي ان من العرب من يزعم ان النفس طائر ينبسط في الجسم فاذا مات الانسان او قتل لم يزل يطيف بهِ مستوحشاً يصدح على قبرهِ ويزعمون ان هذا الطائر يكون صغيراً ثم يكبر حتى يكون كضرب من البوم وهو ابداً مستوحش و يوجد في الديار المعطلة ومصارع القتلى والقبور وانها لم تزل عند الميت ومخلفهِ لتعلم ما يكون بعدهُ فتخبرهُ اه قال مغلس الفقعسي

وان اخاكم قد علمت مكانهُ   بسفح قبا تسفي عليه الاعاصرُ
لهُ هامة تدعو اذا الليل جنها   بني عامر هل للهلالي ثائرُ

ولهم حكاية اخرى في التقمص وهي البلية اي الناقة التي تعقل عند قبر صاحبها ليحشر عليها راكباً وكان اذا مات منهم كريمٌ بلوا ناقتهُ او بعيرهُ فوكسوا عنقها واداروا رأسها الى مؤَخرها وتركوها في حفرة لا تطعم ولا تسقى حتى تموت وربما احرقت بعد موتها وربما سلخت وملئ جلدها ثماماً وكانوا يزعمون ان من مات ولم يبل عليهِ حشر ماشياً قال بعضهم

ولعل لي مما جمعت مطية   في الحشر اركبها اذا قيل اركبوا

وقال آخر يوصي ابنهُ

ابنيَّ زودني اذا فارقتني   في القبر راحلةً برحلٍ فاترِ
للبعث اركبها اذا قيل اظعنوا   مستوسقين معاً لحشر الحاشرِ

وقال عويمر النبهاني

ابنيَّ لا تنسَ البليَّة انها   لابيك يوم نشورهِ مركوبُ

وكلما اخذت الفلسفات والاديان في الارتقاء والنمو اخذ العقل في الاعتلاء عن السفاسف والتخرصات واخذ مبدأُ التقمص في التقلص والانمحاء والظهور في شكل روحي اخر كما سبق الايماء

الاَّ ان القول بالتقمص على اشكالهِ المختلفة عند الامم القديمة لا يضاد المبدأ الروحي وانما يعززهُ حيث ان من مبادئ التقمص الاساسية الفصل بين الروح والجسد والحكم على الجسد بالانحلال وعلى الروح بالخلود والبقاء ولم يشوه ذاتية النفس بشيء بل ميزها عن سائر المخلوقات بخصائص حرية الارادة وانها مسؤُولة عن اعمالها

م · ن

الحروب ومعداتها

اجتمع نوَّاب الدول في مؤْتمر السلم هذا الصيف وكأَنهم في مؤْتمر الحرب لانهم لم يتفقوا الاَّ على ما يجب فعلهُ زمن الحروب مماَّ يدفع الخسارة عن اهل التجارة · ولا يزال المنتفعون من الحروب ومعداتها ينادون ان الاستعداد للحرب انفى لها . يداوون العلَّة بمثلها على حد قول ابي الطيب " وربما صحَّت الاجسام بالعللِ "

وقفنا منذ شهر من الزمان في معمل ارمسترنج في منشستر حيث تصنع المدافع الكبيرة وسائر ادوات البوارج الحربيَّة ورأينا الوف العمال يرسمون ويسبكون ويخرطون ويثقبون وهم خمسة آلاف عامل لا تقلُّ اجورهم عن الف جنيه في اليوم يعملون في معمل مساحة سطحهِ اربعون فدانًا ولا يقلُّ ربى الاموال التي أُنفقت على تشييدهِ عن الف جنيه اخرى في اليوم · فهذه الفا جنيه تنفقها شركة ارمسترنج كل يوم سواءٌ عملت او لم تعمل · أفلا تبذل كل مرتخص وغالٍ على ترويج بضاعتها لكي تكتسب ما يقوم بهذه النفقات ويزيد عليها · وقس على ذلك كل صانعي الاسلحة وملابس الجنود والقوَّاد والضباط وكل المنتفعين من الحروب وتعبئة الجنود فان كل هؤُلاء سبيلهم الحث على الاستعداد للحرب · ويتلوهم او يأتي قبلهم الذين يديّنون الاموال للممالك لكي تنفقها في حروبها ثم تعطيهم رباها مسانهةً فيعيشون بالراحة والرفاهة واموالهم تدرُّ عليهم مايكفيهم ويزيد

انشأَ بعضهم مقالة مسهبة في المجلة العسكريَّة المعروفة باسم " يونيتِد سرفس " طالعناها ونحن راجعون من اوربا في الشهر الماضي وقد بيَّن كاتبها ان انكلترا خسرت في حروبها في مئة سنة منذ سنة ١٧٩٣ الي سنة ١٩٠٢ سبع مئة الف نفس ونحو ١٢٦٣ مليون جنيه كما ترى في هذا الجدول .

حروب نبوليون	من سنة	١٧٩٣ — ١٨١٥	خسرتها	٨٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه
حروب برما الاولى	〃 〃	١٨٢٤ — ١٨٢٦	〃	٠١٣ ٠٠٠ ٠٠٠ 〃
حرب الكفرة الاولى	〃 〃	١٨٣٤ — ١٨٣٦	〃	٠٠٠ ٨٠٠ ٠٠٠ 〃

حرب كندا	من سنة	١٨٣٧ — ١٨٤١	خسرتها	٠٠٢ ٠٩٦ ٠٤٦	جنيه
حرب الافغان الاولى	" "	١٨٣٤ — ١٨٤٢	"	٠١٥ ٠٠٠ ٠٠٠	"
حرب الصين الاولى	" "	١٨٤٠ — ١٨٤٢	"	٠٠٢ ٠١٢ ٠٢٨	"
حرب الكفرة الثانية	" "	١٨٤٦ — ١٨٥٢	"	٠٠٢ ٠٦٠ ٠٠٠	"
حرب برما الثانية	" "	١٨٥٠ — ١٨٥٣	"	٠٠٣ ٠٠٠ ٠٠٠	"
حرب القرم	" "	١٨٥٤ — ١٨٥٦	"	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	"
حرب الفرس	" "	١٨٥٧	"	٠٠٠ ٩٠٠ ٠٠٠	"
حرب الفتنة الهنديَّة	" "	١٨٥٧ — ١٨٥٨	"	٠١٠ ٠٠٠ ٠٠٠	"
حرب الصين الثانية	" "	١٨٥٦ — ١٨٦٠	"	٠٠٦ ١١٤ ٥٨٩	"
حرب الموري	" "	١٨٦٠ — ١٨٦٦	"	٠٠٠ ٧٦٤ ٨٢٩	"
حرب الحبشة	" "	١٨٦٧ — ١٨٦٨	"	٠٠٨ ٣١٨ ٤٩٩	"
حرب عصيان ريل بكندا	" "	١٨٧٠	"	٠٠١ ٤٠٠ ٠٠٠	"
حرب الاشنتي الاولى	" "	١٨٧٣ — ١٨٧٤	"	٠٠٠ ٩٢٥ ٠٠٠	"
حرب الزولو	" "	١٨٧٩	"	٠٠٥ ٠٠٠ ٠٠٠	"
حرب الافغان الثانية	" "	١٨٧٨ — ١٨٨٠	"	٠١٨ ٠٠٠ ٠٠٠	"
حرب جنوبي افريقية	" "	١٨٧٤ — ١٨٨٣	"	٠٠٢ ٧٧٧ ٧٢٠	"
حرب الترنسفال	" "	١٨٧٩ — ١٩٨٠	"	٠٠١ ٥٠٠ ٠٠٠	"
حرب بوشانالند	" "	١٨٨٤ — ١٨٨٥	"	٠٠٠ ٧٢٥ ٠٠٠	"
حرب السودان	" "	١٨٨٤ — ١٨٨٩	"	٠٠٨ ٠٠٠ ٠٠٠	"
حرب برما الثالثة	" "	١٨٨٥ — ١٨٩٢	"	٠٠٥ ٠٠٠ ٠٠٠	"
حرب المتابيل	" "	١٨٩٣ — ١٨٩٤	"	٠٠٠ ٤٥٠ ٠٠٠	"
حرب شترال	" "	١٨٩٥	"	٠٠١ ٥٠٠ ٠٠٠	"
حرب الاشنتي الثانية	" "	١٨٩٦	"	٠٠٠ ١٢٠ ٠٠٠	"
حرب الصومال	" "	١٩٠٠ — ١٩٠٣	"	٠٠٤ ٠٠٠ ٠٠٠	"
حرب الاشنتي الثالثة	" "	١٩٠٠	"	٠٠٠ ٤٠٠ ٠٠٠	"
حرب جنوبي افريقية	" "	١٨٩٩ — ١٩٠٢	"	٢٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠	"
والمجموع				١ ٢٦٢ ٨٦٣ ٧١١	

لكن الكاتب استهان بهذه الخسارة وقال ان السلم خسَّر البلاد الانكليزيَّة اكثر مما خسرتها الحرب لانهُ هاجر منها منذ خمسين سنة الى الآن نحو سبعة ملايين نفس وقد اخذوا معهم من النقود ما يساوي ٢٣١ مليونًا من الجنيهات واذا فرضنا ان البلاد تخِسر بكل رجل يهاجر منها ٢٥٠ جنيهاً وفرضنا ان ربع هؤُلاء المهاجرين رجال فقد خسرت البلاد الانكليزيَّة بمهاجريهم منها اكثر من ١٣١٤ مليونًا من الجنيهات مع ان حروبها في مئة سنة لم تخسرها سوى ١٢٦٣ مليونًا ولذلك فخسائر السلم اكثر من خسائر الحرب · وقد فاتهُ ان خسائر الحرب لا تقتصر على ما يُنفق من الاموال ولا على ما ينفقة الفريق الواحد من المتحاربين دون الآخر · فان كان الانكليز قد خسروا بحروبهم ١٢٦٣ مليونًا فخصومهم خسروا مقدارها او اكثر منها فضلاً عما حلَّ ببلادهم من الخراب والدمار وفضلاً عما خسرهُ المتحاربان من النفوس. وفاتهُ ايضاً ان الذين هاجروا من البلاد الانكليزيَّة لم تخسرهم الدنيا كما تخسر الذين يقتلون وانما هم قد انتقلوا من بلاد ضاقت بهم الى بلاد واسعة عمَّروها وتكاثروا فيها واستثمروا خيراتها. والاموال التي اخذوها معهم لم تضع بل زادت في البلاد التي انتقلوا اليها لا سيما وان اكثرهم انتقل الى اميركا وهم مصدر نموها وغناها

ونشر المستر ستد في مجلة المجلات الانكليزيَّة رسوماً تدلُّ على ما انفقتهُ الدول الاوربيَّة الكبرى واميركا واليابان على الاستعداد للحرب في هذا العام او العام الماضي ونسبتهِ الى ما انفقتهُ قبل ذلك بعشر سنوات · وقد مثلنا هذه النفقات بالخطوط السوداء على الصفحة التالية وهي قسمان الاول يدلُّ على النفقات الحربيَّة البحرية في سنة ١٨٩٧ وسنة ١٩٠٧ والثاني على النفقات الحربيَّة البريَّة في سنة ١٨٩٧ و١٩٠٧ ويمكن الدلالة علي ذلك بملايين الفرنكات كما ترى في الجدولين التاليين

النفقات الحربيَّة البحريَّة الآن ومنذ عشر سنوات

بريطانيا	٥٤٥	(١٨٩٧)	٨٣٩	(١٩٠٧)	فالزيادة	٢٩٤	مليون فرنك
الولايات المتحدة	١٥٤	(١٨٩٧)	٥٣٦	(١٩٠٧)	«	٣٨٢	« «
المانيا	١٠٩	(١٨٩٦)	٣٣٣	(١٩٠٦)	«	٢٢٤	« «
فرنسا	٢٥٥	(١٨٩٦)	٣١٢	(١٩٠٦)	«	٠٥٧	« «
روسيا	١٥٩	(١٨٩٧)	٢٣٩	(١٩٠٧)	«	٠٨٠	« «
اليابان	١٤٠	(١٨٩٧)	٢٠٦	(١٩٠٧)	«	٠٦٦	« «

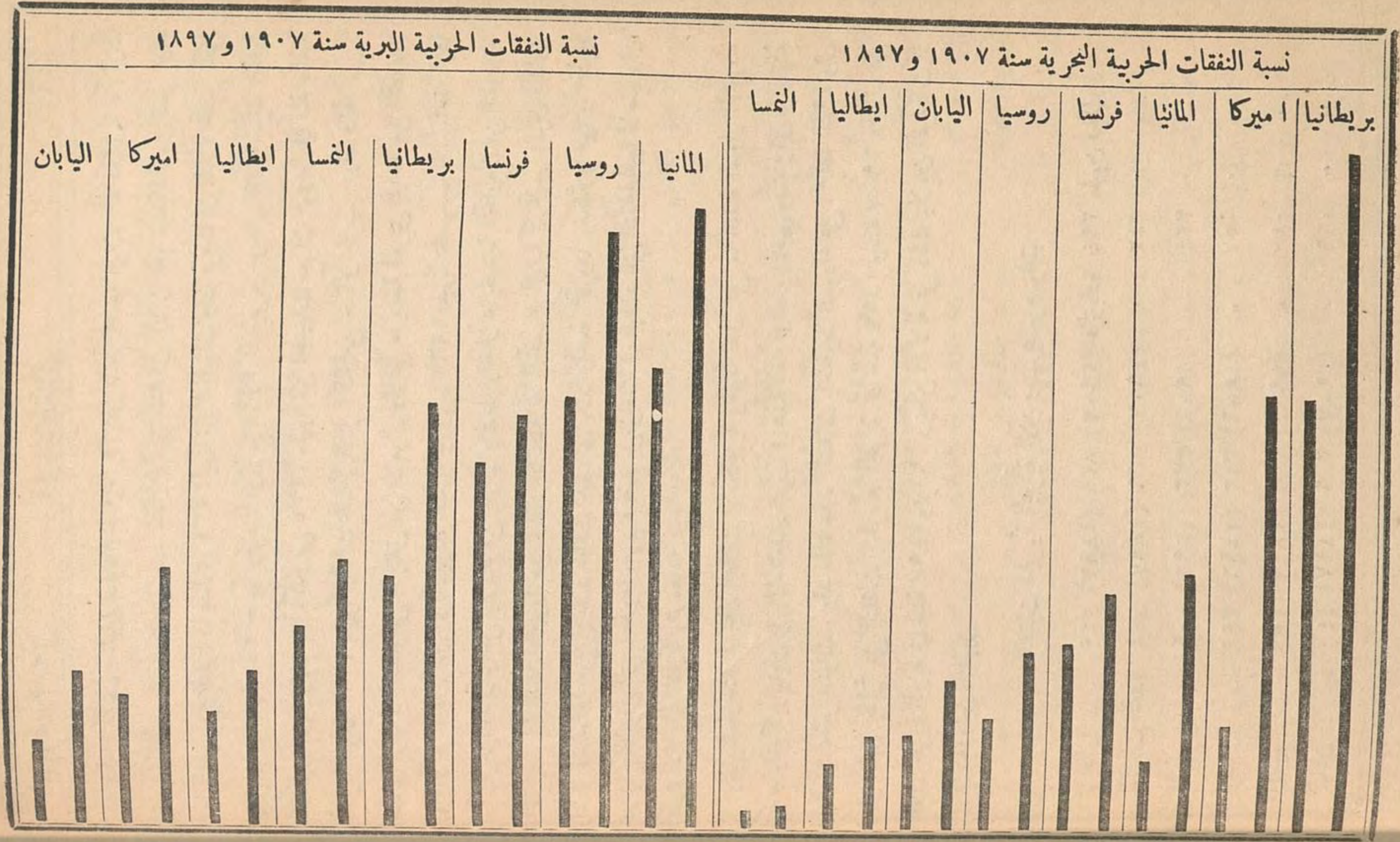
نسبة النفقات الحربية البحرية سنة ١٩٠٧ و ١٨٩٧

نسبة النفقات الحربية البرية سنة ١٩٠٧ و ١٨٩٧

ايطاليا	٩٩	(١٨٩٧)	١٣٩	(١٩٠٧)	"	٤٠	"	"
النمسا	٢٨	(١٨٩٦)	٣٢	(١٩٠٦)	"	٠٤	"	"

النفقات الحربيَّة البريَّة الآن ومنذ عشر سنوات

المانيا	٧٩٩	(١٨٩٧)	١٠٧٧	(١٩٠٧)	فالزيادة	٢٧٨	مليون	فرنك
روسيا	٧٥٦	(١٨٩٧)	١٠٤٧	(١٩٠٧)	"	٢٩١	"	"
فرنسا	٦٤٦	(١٨٩٦)	٠٧٢٣	(١٩٠٦)	"	٠٧٧	"	"
بريطانيا	٤٥٤	(١٨٩٧)	٠٧٤٥	(١٩٠٧)	"	٢٩١	"	"
النمسا	٣٦٧	(١٨٩٧)	٠٤٧٢	(١٩٠٧)	"	١٠٥	"	"
الولايات المتحدة	٢١٤	(١٨٩٧)	٠٤٥٦	(١٩٠٧)	"	٢٤٢	"	"
ايطاليا	٢٣٥	(١٨٩٦)	٠٢٨٦	(١٩٠٦)	"	٠٥١	"	"
اليابان	١٦٥	(١٨٩٧)	٠٢٨٥	(١٩٠٧)	"	١٢٠	"	"

فقد كانت النفقات الحربيَّة البحريَّة كلها منذ عشر سنوات نحو ١٥٠٠ مليون فرنك فصارت الآن اكثر من ٢٦٠٠ مليون فرنك فزادت نحو ١١٥٠ مليون فرنك او نحو ٤٥ مليون جنيه

وكانت النفقات الحربية البرية ٣٦٣٦ مليون فرنك فصارت الآن نحو ٥٠٩١ مليون فرنك اي زادت ١٣٥٥ مليون فرنك اي نحو ٥٤ مليون جنيه

فهذه الممالك الثمان تنفق الآن على جيوشها البرية نحو ٥٠٩١ مليون فرنك وعلى بوارجها وجيوشها البحرية ٢٦٣٦ مليون فرنك والجملة نحو ٧٧٠٠ مليون فرنك او اكثر من ٣٠٠ مليون جنيه في السنة . وقد نظر لورد افري الى ذلك فقال ان اوربا تعبد الآن اله الحرب . وعندنا انها تعبد اله الكسب فاذا وجدت السلم اربح لها اتبعتهُ واذا وجدت الحرب اربح اتبعتها . واذا قلنا اوربا لم نعنِ الزارع والصانع بل ارباب الاموال والاعمال واصحاب المناصب العالية الذين تُعتز بالحرب مناصبهم او تزيد ارتفاعاً . وكل من يحاول ابطال الحرب ولا يضرب على يد هؤلاء ويفضح امرهم يكون كالضارب في حديد بارد والكاتب على صفحات الماء

الرحلة الحديثة

تمهيد

هذه رسائل كتبتها في رحلتي الاخيرة الى اوربا في الصيف الماضي ونشرت تباعًا في المقطم وقد اعدت نشرها هنا بعد تنقيحها وسأضيف اليها فصولاً اخرى لم تنشر قبل اصف بها بعض المكاتب والمعامل والمتاحف التي شاهدتها

(١) التل والقنال

كتبت تجاه كريت

قد ترى بلادًا وسيعة وبحرًا خضمًّا ومدينة غاصة بالسكان فلا تفقه لشيء ولا يرتسم في ذهنك غير صورها التي تراها. بل قد يقع نظرك عليها وانت لاهٍ عنها تهدس في شيء لا علاقة لهُ بها حتى اذا سئلت عنها انكرت انك رأيتها . وقد تنظر شجرة او حجرًا او بناء او شيئًا آخر من الاشياء الطبيعيَّة او الصناعيَّة فتمر في ذهنك سلسلة من الحوادث وفصول من التاريخ تشغلك عن كل ما حولك كانك تقرأُ كتابًا نفيسًا تختلب مباحثهُ الالباب. وهذا ما جرى لي في اليوم الاول من هذه الرحلة.

قمنا من محطة العاصمة اول امس (٢٥ يونيو ١٩٠٧) وودعنا الاهل والصحب ومرت بنا البلاد تدور كالرحى وتطوى طي السجل وقد احصد القمح وعلا القطن وبشر بخير واسع تنفرج بهِ الازمة المالية الحاضرة ويقصر حبل المرابين الذين انتهزوا هذه الفرصة السانحة فاعطوا المئة بمئين . غبن فاحش لم نسمع بمثلهِ ولا ذكرت التواريخ ما يضاهيهِ . وبينما نحن غافلون عما يمر بنا نفكّر في ما تفضي اليهِ هذه الحال اذا استمر تضييق البنوك على الذين خدعهم السماسرة لاحت لنا مقبرة التل الكبير ثم الغابة الغيضاء التي زرعت بعدها لتلطيف هواء الصحراء على رفات الذين ختموا بدمهم العصر الغابر وافتتحوا العصر الحاضر . لكن الزمان لم ينصف ابناء هذا القطر حتى تحت الثرى فاني التفتُّ يمنة ويسرة لأرى رمسًا من رموسهم فلم ارَ ما يدل عليها فقلت

مدافن المفتدين الاهلَ والوطنا   ولا ضريحًا ولا نعشًا ولا كفنا
أيعلم القوم ممن زرعهُ نضرٌ   والنيل يرويهِ لا منًّا ولا ثمنا
والعدل والكلُّ في قسطاسهِ شرَعٌ   والناس راضون ان سرًّا وان علنا

أن الدماء التي التلَّ الكبيرَ سقت   محت مظالمَ قاوى عهدُها الزمنا

من حين ذُكرت مصر في التاريخ او عُرفت اخبارها من آثارها منذ سبعة آلاف سنة وهي خاضعة للاجانب . دخلها الغزاة من اسيا فتسلطوا عليها ونشأت منهم الدول المصرية القديمة ثم اجتاحها ملوك اشور وجاء بعدهم اليونان فالرومان ثم العرب والشراكسة والترك والى الآن حكامها من غير اهلها . ولم تكن الثورة العرابيَّة لرد البلاد الى سكانها الاصليين ولا جاء الاحتلال ليؤيد سلطة الاجانب عليها ولا كانت لهُ الغاية التي وصل اليها بعدئذٍ . ومهما كانت غايتهُ فلا شبهة في انهُ صار الآن أميل من كل سلطة سبقتهُ الى تحرير الوطنيين وترغيبهم في ادارة شؤون بلادهم واقامة العدل في البلاد واعطاء السلطة للقانون . فكأنَّ الثورة العرابية التي خُتمت في التل الكبير بدماء الوف من المتحاربين قضت على العصر الغابر . واذا افضى هذا الاحتلال الى صيرورة سكان مصر امة واحدة مستقلة محالفة للدولة البريطانية كامة الترنسفال فيكون قد انال البلاد اسمى ماتطلبهُ من الغايات ويليق بها حينئذٍ ان تنصب في التل الكبير اعظم تذكار لابنائها الذين ختموا العصر الماضي بدمائهم

جالت هذه الخواطر ببالي في لحظة من الزمان كاني اقرأها سطوراً في لوح القدَر ثم مررنا امام الحرجة الكثيفة التي غرسها بردوُد بامر نظارة المالية لتكون مثالاً لزرع الحراج في القطر فذكرتني ما قرأتهُ عن الحراج الكبيرة التي كانت تبنى منها الاساطيل السلطانية ولكنها نضبت بفساد الاحكام كما نضبت كل ينابيع الثروة فقلت ترى هل تعاد الحراج الى هذا القطر أو ليس الارض بدونها اجود قطناً واكثر ريعاً — هذه مسألة لا تحلّ الّا بالبحث والامتحان والمستقبل بذلك كفيل

وظلَّ القطار ينساب بنا في تلك السباسب الى ان اشرفنا على القنال الذي فصل القطرين ووصل البحرين فأضرَّ الاقارب وافاد الاباعد

لم تتولَّ مصر دولة الّا حاولت ان تصل البحر المتوسط بالبحر الاحمر إما مباشرة وإما بواسطة النيل . وافلح بعضها فسارت سفن التجار تمخر في النيل وتنتقل منهُ الى البحر الاحمر وتسير فيهِ الى الشرق الاقصى لجلب بضائع الهند والصين ولكن لم يمرج البحران الّا في هذا الزمان . وكأني أرى روح دولسبس ترفُّ فوق تمثالهِ المنصوب حارساً للقنال وترى سفن اوربا واميركا كالمدن الكبيرة الطافية على وجه الماء وبوارج اليابان كالابراج المنيعة تتخطى من اقصى الشرق الى اقصى الغرب . وقد خربت طرق التجارة القديمة فانحطت بخرابها بغداد ودمشق وعمَّ الضرر اكثر المدائن العثمانية ولم تنجُ مصر من مغبتهِ . بذلت مصر على القنال اموالها وارواح رجالها واستدانت

في سبيلهِ القناطير المقنطرة ولم تجنِ منهُ نفعاً يذكر حتى الآن · العمل كبير لذاتهِ فخيم بغاياتهِ نافع للذين عرفوا كيف ينتفعون بهِ وسيبقى اثرًا خالدًا لاقدام دولسبس وهمتهِ ولكن لو امتلكتهُ مصر جزاء قيامها بنفقاتهِ أي لو عرف اسمعيل باشا كيف يستأثر بهِ ويبقيهِ ملكاً حلالاً لهذه البلاد لاوفت بهِ ديونها وعادت بصفقة رابحة· ولكن مهما لحقها من الغبن منهُ لم يخلُ من نفع لها لانهُ حمل دولة من اكبر الدول على الاهتمام بأمرها ولولا ذلك لكانت الثلاثون السنة الماضية مثل الثلاثين التي قبلها· وسيعاد اليها بعد انتهاء مدة امتيازهِ فيحمد اهلوها سراهم ويكونون قد صاروا اقدر من اسلافهم على الاحتفاظ بهِ والانتفاع منهُ

مشيت على الرصيف الموصل الى تمثال دولسبس ووقفت امامهُ اعجب بفخامتهِ ودقة صناعتهِ فقلت مخاطباً ذلك الرجل العظيم

يا مارج البحرين يلتقيانِ   انت الممثل همة الانسانِ
قف حيث انت فتلك اعظم وقفة   فالخافقان هناك يجتمعانِ

وعدت اجول في شوارع بورت سعيد واعجب بنموها المتزايد وبحسن المباني الجديدة التي بنيت فيها ولا سيما لما بلغني ان اكثرها للوطنيين الذين عرفوا كيف يكتسبون من التجارة ويستثمرون الاموال · ورأيت في موظفي الحكومة الذين لقيتهم دلائل الهمة والتدرب على انجاز الاعمال في مواعيدها

وتأخرت الباخرة التي كنا عازمين على ركوبها بما لقيت من الانواء في الاوقيانوس الهندي فلم ترسُ في مرفإ بورت سعيد الاَّ نحو الساعة التاسعة مساء ولولا سفينة كوك التي ينقل بها المسافرون الى الباخرة لاضطروا ان يقيموا في القهاوي لان ليس للشركة مكان يقيم المسافرون فيهِ اذا تأخر وصول الباخرة عن القطار الاَّ ان ما حدث هذه المرة لم يحدث من قبل كما قيل لي · والسفينة من اكبر السفن التي تمخر البحر المتوسط

(٢) الباخرة منغوليا

كتبت تجاه مسينا

الانكليز ملوك البحار قاموا في غفلة من الزمن فورثوا من تقدمهم من الدول البحرية · كانت سيادة البحر للفينيقيين ثم لليونان فالرومان فالبنادقة فاهالي جنوى وبيزا ثم انتقلت الى البرتوغاليين فاهالي هولندا وقبض عليها الانكليز اخيرًا باكف من حديد وغالبوا الدول الشمالية عليها فغلبوهم ولا تزال السيادة البحرية لهم حربية كانت او تجارية

ومن اشهر شركاتهم التجارية شركة Peninsular & Oriental. البننسولار والاورينتال

نشأت هذه الشركة منذ سبعين سنة لتنقل البريد من لندن الى لسبون وجبل طارق فسميت بالبنسولار نسبة الى البنسولا اي شبه الجزيرة التي تشتمل على اسبانيا والبرتغال ثم امتدت في ارسال البريد الى مالطة والاسكندرية فسميت شركة بواخر البنسولار والاورينتال (اي والشرقية) وجعلت ترسل سفنها الى الشرق الاقصى

واول سفينة ارسلتها الى الهند كان محمولها ١٨٠٠ طن وقوة آلتها البخارية ٥٠٠ حصان اقلعت من لندن في شهر سبتمبر سنة ١٨٤٢ وابحرت حول افريقية بطريق رأس الرجاء الصالح · وسنة ١٨٤٤ صارت هذه الشركة تنقل بريد الهند فتصل بهِ سفنها الى الاسكندرية وينقل من ثمَّ في القطر المصري الى السويس وتكون سفنها في انتظارهِ هنالك فتحملهُ الى سيلان ومدرس وكلكتا وسنقافوره وهنج كنج وشنغاي · وطريقهُ في القطر المصري الترعة المحمودية الى القاهرة ومن ثمَّ على ظهور الجمال الى السويس · وكذا البريد والبضائع الآتية من الهند كانت سفن هذه الشركة تصل بها الى السويس ثم تنقل على ظهور الجمال الى القاهرة ومنها بالترعة المحمودية الى الاسكندرية ومن ثمَّ بسفن الشركة الى اوربا · وكان وسق السفينة الواحدة يحمل على اربعة آلاف جمل · وظلت الشركة جارية على هذا الاسلوب نحو عشرين سنة وكانت تنقل في السنة من البضائع ما يساوي اربعين مليونًا من الجنيهات يربح اهالي القطر من نقلها ربحًا وافرًا يحسدون عليهِ فجاء القنال وحرمهم منهُ

لما فتح القنال تغيرت شؤُون الشركة كما تغيرت شؤُون التجارة في القطر المصري وسائر الاقطار الشرقية وكانت الشركة قبل ذلك تتقاضى اجورًا كبيرة لتقوم بنفقاتها فلما فتح القنال واضطرَّت ان تخفض الاجور كثيرًا قلَّ ربحها وكادت تفلس ومرت خمس سنوات وهي في حال النزع الى ان بذلت الهمة في تجديدها وتقويتها وبقي البريد الانكليزي يرسل من الاسكندرية الى السويس برًّا حتى سنة ١٨٨٨

وقد جرت الشركة في ارتقائها مجرى كل الاجسام الحية النامية فطرأت عليها آفات وقفت سيرها حينًا ثم تغلبت الشركة عليها فازالتها وعادت الى نموها المستمر · وقد قطعت سفنها في العام الماضي ثلاثة ملايين ميل ودفعت لمستخدميها ٤١٠ آلاف جنيه ولقنال السويس ٣٢٠ الف جنيه . ولما نشأت كانت سفنها شراعية قليلة جدًّا محمول السفينة منها نحو مئتي طن والآن عندها ستون باخرة كبيرة محمول بعضها عشرة آلاف طن ومنها الباخرة منغوليا التي نحن فيها الآن فان محمولها عشرة آلاف طن تسيرها ست آلات بخارية قوتها معًا اربعة عشر الف حصان · وطول السفينة ٥٣٠ قدمًا وعرضها ٦٠ قدمًا وعمقها ٣٧ قدمًا وفيها اسرَّة لثلث

مئة وستين راكبًا في الدرجة الاولى ومئة وثمانين راكبًا في الدرجة الثانية • ونستطيع ان تحمل ٢٠٠٠ طن من الفحم و ٣٠٠٠ طن من البضائع . والغرف العمومية التي فيها على غاية الانقان والزخرفة كغرفة المائدة وهي تسع نحو ٣٠٠ نفس يأكلون معًا وفوقهم المراوح الكهربائية تلطف الهواء وفوق منتصف الغرفة قبة عالية مسقوفة بالزجاج الملون في شكل نصف اسطوانة وفوق جوانبها غرفة الموسيقى والجلوس . فيها المقاعد والكراسي الوثيرة والقبة بارزة فوقها فتزيد منظرها بهجة ورواء . ويقابل غرفة المائدة غرفة اللعب وهي غاية في الاتساع وحول غرف المنامة مماشٍ كبيرة يقيم الركاب عليها اكثر نهارهم وتحيا فيها الليالي الراقصة • وكل ما في الباخرة من الطراز الاول من حيث الراحة والرفاهة للمسافرين في الاقطار الشرقية

وكان معنا كثيرون من الاصدقاء الفضلاء الذين يحلو معهم السفر ويقضى الوقت بالمذاكرات العلمية والادبية كصاحب السعادة امين باشا سامي الذي حوى صدرهُ تاريخ القطر المصري وسير العلوم فيهِ والدكتور وبستر من اساتذة الطب في المدرسة الكلية الاميركية والدكتور حبيب خياط وحسن بك صبري المحامي والدكتور السيد بك توفيق ومحمد بك توفيق بسيم ومرقص افندي حنا والدكتور كومانوس باشا وكثيرون غيرهم من وجهاء العاصمة وكرائم السيدات

وجملة ركاب الدرجة الاولى ٢٦٩ والثانية ١٧٧ عدا الخدم • والركاب من القطر المصري وحدهُ ٩٨ في الدرجة الاولى و ١٨ فقط في الثانية فهم من هذا القبيل اميل الى الانفاق من الانكليز الذين ركبوا الباخرة من استراليا وثغور الهند

والبحر رهو كأنهُ صفيحة من البلور الازرق مرَّ عليها النسيم قبلما جمدت فجعَّد وجهها تجعيدًا لطيفًا لكي لا يبقى سطحها على استواء واحد تسأم العين رؤيتهُ . اكتب هذه السطور وقد دارت بنا الباخرة شمالاً حول الساحل الغربي من طرف ايطاليا الجنوبي امام مدينة مسينا وتجلت لنا جبال هذه المملكة القديمة وقد رصعتها القرى والدساكر واكتنفتها الاشجار والحراج وجزيرة صقلية امامها بمعاملها الكبيرة ومداخنها تناطح السحاب • هذه بلاد ايطاليا

بلاد العظامِ ليوث الصدامِ   ملوك الانامِ عدول الملوكِ
محطُّ رحال رجال العلوم   واهل الفنون واهل السلوكِ

ولكن اين اولئك العظام اين الذين ملكوا المعمورة من حدود الهند الى اعمدة هرقل ومن بلاد الروس الى قلب افريقية وجبوا منها الجزية وسنُّوا لها الشرائع وباسمهم بنيت

الهياكل والمدارس ومجالس القضاء · اين يوليوس قيصر واوغسطس واسبسيانوس اين الذين قهروا قرطاجنة وامتلكوا مصر واستولوا علي ممالك الاسكندر

"اربَّ بهم ريب المنون كأنما على الدهر فيهم ان يفرّقهم نذرُ"

بل ان يجعلهم اثرًا بعد عين فانهُ لم يبقَ منهم سوى آثارهم شاهدة على عظمتهم ومنذرة دول الارض ان يحل بها ما حل بهم

"وما الناس الاَّ ظاعن فمودّعٌ وثاوٍ قريح الجفن يبكي لراحلِ
فهل هذه الايام الاَّ كما خلا وهل نحن الاَّ كالقرون الاوائلِ
نشاق من الدنيا الى غير دائم ونبكي من الدنيا على غير طائلِ
فما عاجل نرجوهُ الاَّ كآجلٍ وما آجل نخشاهُ الاَّ كعاجلِ"

(٣) من مرسيليا الى اسبانيا

مرسيليا اكبر فرَض فرنسا واوسع ثغور بحر الروم مصّرها اسلافنا الفينيقيون وهم سادة البحار وتقلبت عليها الشؤُون ولكنها احتفظت بمقامها · نرى في مبانيها دلائل العظمة والجاه القديم والمجد التالد · وكأَن الثروة تراكمت على اهاليها فاكثروا من المباني لتثمير اموالهم فزادت على حاجة السكان حتى انك لتجد كلمة "للايجار" (A louer) معلقة فوق اكثر الابواب

دخلنا مرسيليا يوم الاحد سلخ يونيو ورست الباخرة في مرسى الشركة على بعد شاسع من المدينة لكن المركبات كثيرة وخيلها قوية يشبعها اصحابها على ما يظهر مع انهُ ليس في مرسيليا جمعية للرفق بالحيوان كما في مصر. فاستأجرنا مركبة وسرنا الى الحديقة والمتحف (لونج شان) لعلنا نجد فيهما جديدًا لم نرهُ قبلاً وطفنا في الشوارع نقتل الوقت لان ليس في مرسيليا شيء يستحق المشاهدة لم نشاهدهُ قبل الآن · ثم دخلنا مطعمًا يؤْكل فيهِ الطعام الذي اشتهرت بهِ مرسيليا وهو يصنع من السمك والكوكند والخبز والخردل وكأَن المرسيليين لا ياكلون في بيوتهم بل في هذا المطعم وامثالهِ لكثرة ما رأيناهُ فيهِ منهم · والاكل في الاماكن العمومية اقرب الى الفطرة وادعى الى الالفة والاشتراك يذكرنا بعادات العرب الذين كانوا يجتمعون في منازل شيوخهم للطعام · وجاء بعدنا كثيرون من ركاب سفينتنا من الانكليز والاميركيين كأَنهم سئموا طعامها مثلنا فاحبوا التغيير ولكنهم لم يجدوا كراسي يجلسون عليها فلبثوا في مركباتهم نحو ساعة من الزمان لشدة الازدحام

والفاكهة في مرسيليا كالفاكهة في بيروت والاسكندرية المشمش والخوخ والكمثرى والموز والبرتقال وهي كثيرة رخيصة على جودة انواعها

وقامت بنا الباخرة في اليوم التالي وقد فارقنا نحو مئة وثلاثين من الركاب ليتفرقوا في اوربا او ليذهبوا الى انكلترا بقطار خاص يصل الى مرفإ السفينة ويحملهم الى كالي رأساً اما نحن فرأينا البحر رهواً ففضلنا السفر فيهِ من قبيل النزهة ولمشاهدة جبل طارق وجاوزنا حدود فرنسا صباح الثلاثاء (في الثاني من يوليو) وسرنا محاذين لجبال اسبانيا وكأننا نسير تجاه جبال لبنان · ومنها جبل يشبه جبل صنين في شكلهِ والآكام تحتهُ تصل الى البحر كما تصل الآكام في جبل لبنان وقد قادني هذا الشبه الى التفكير في حال بلاد الشام وما مرَّ بها من العبر من حين الفتح الاسلامي الى الآن ثم انتقلت الى التفكير في حال اسبانيا وفتح العرب لها وانبساط رواق الحضارة فيها في عهدهم ثم وقوع الشقاق بينهم وتخاذلهم الى ان دالت دولتهم وخرجوا منها كما دخلوها ولم يبقَ منهم فيها غير آثارهم دالة على ما كان لهم من المجد والسؤدد·

وقد اشرت الى ذلك في الابيات التالية

أَلبنانُ هذا ام جبالُ سِبانيا   ام الشوق للاوطان احيا الامانيا
فيا بيض ايام تلتها حنادسٌ   تناولتِ قطرينا بعيدًا ودانيا
ويا شَبهًا في الطبع والوضع اننا   لعَوْدِ ليالينا نعدُّ الثوانيا
اتى الامويون الشآم وكلهُ   عمارٌ بواديهِ تفوق المغانيا
فشادوا بهِ مُلكًا نخياً نجاءهم   من الدهر ان الملك ما ليس فانيا
وقد غادروهُ والغراب محلّقٌ   وللبوم تنعابٌ يدكُّ المبانيا
واُمُّوا بلادًا رادها قبلُ طارقٌ   بهم ليلةً ذلَّت وعزَّت ثمانيا
الى ان قضى الله بتشتيت شملهم   فعادوا كما جاؤُوا بريئًا وجانيا

والحقيقة التي يثبتها التاريخ بالاستقراء الطويل ان العدل يعمر البلاد والظلم يخربها فاذا نظرت الى بلاد عامرة فاعلم ان ملوكها وولاتها يعدلون في الرعية واذا نظرت الى بلاد ساد فيها الخراب فاعلم ان العدل فارقها والظلم جاورها · والعدل يشمل الاهتمام بمصالح الرعية والظلم يشمل الاغضاء عنها · قس ملوك الشرق وممالكهم بهذا المقياس تجد اسباب ارتقائهِ وانحطاطهِ بادية للعيان · ويبقى الحال كذلك الى ان ترتقي الامة وتصير حكومتها نيابية فحينئذٍ تتولى هي شؤُونها بيدها ولا يعود للحكام شأن كبير فيها بل يصير الشأن الاكبر للرعية ولمن تختارهم من رجالها لتولي امورها

جالت هذه الخواطر ببالي ونظمت الابيات السابقة وانا انظر الى جبال اسبانيا وافكر في خلاصة تاريخها ثم التفتُّ الى البحر فاذا هو على زرقتهِ وصفائهِ وقد زاد تجعدًا وانتظم الحبب

R Rock from N. E.

منظر جبل طارق من الشمال الشرقي

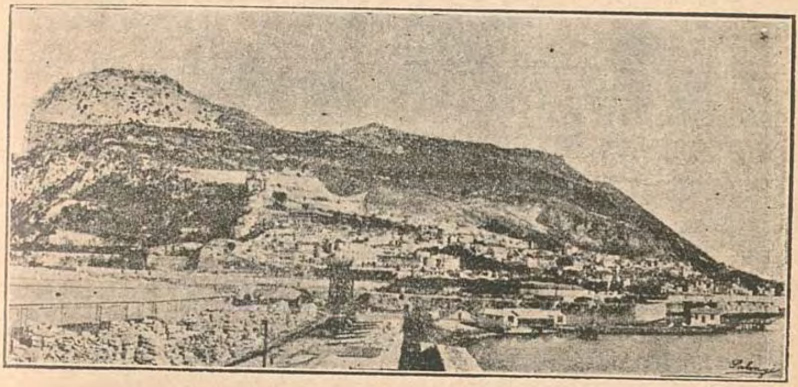

منظر جبل طارق من الغرب

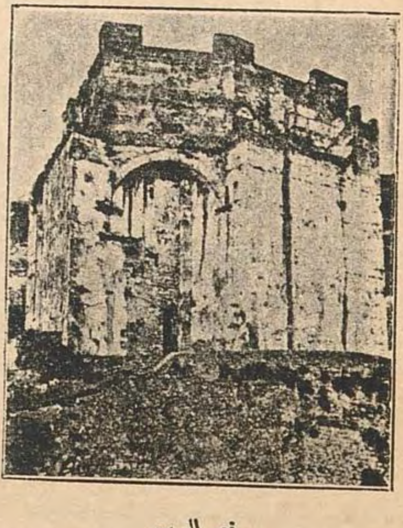

قصر العرب

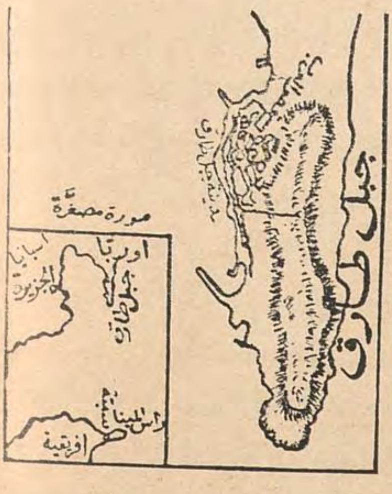
جبل طارق
مدينة جبل طارق
صورة مصغرة
اوربا
اسبانيا
الجزيرة
جبل طارق
سبتة
راس الميناء
افريقية

خريطة الجبل مصغرة ومكبرة

فوق غضونهِ كاللآلئ رُصّع بهِ الصفير والسفينة تمخر فيهِ كالطود الكبير فلا تكاد تشعر بحركتهِ ولا يكاد يشعر بحركتها

---

(٤) جبل طارق

ساحل اسبانيا الذي مررنا بهِ جبليٌّ كلهُ قليل العمارة جدًّا مع انهُ في احسن رقعة من الارض . وقد كنت انظر اليهِ واعجب كيف يهاجر اهالي اوربا الى قلب افريقية ويحاولون تعمير السودان بحرهِ المحرق وهبوبهِ السموم والى جزائر البحر المحيط وهي بركانية تنتابها الزلازل ولا تمرُّ بها السفن الاَّ نادرًا ويتركون بلادًا مثل اسبانيا تحتمل اضعاف سكانها وقد كانت في عهد العرب من جنان الدنيا وهم لا يفوقون غيرهم في ترقية الزراعة وتعمير البلاد . وظلت هذه الافكار تجول في خاطري الى ان اشرفنا على جبل طارق وكنت اظنهُ صخرًا قاحلاً من تسميتهِ بالصخر في اللغة الانكليزيَّة فاذا هو مكسوٌّ بالنبات من اشجار ونجم وخضرة كالزرع او كالكلاِ لا نبين الصخور فيهِ الاَّ في بعض المكاسر. الجانب الشرقيُّ منهُ شاهق قائم فوق البحر كالجدار كأَن بعضهُ قُدَّ بزلزلة فتمزق وتكسر وجرفهُ البحر وبقي البعض الآخر راسخًا في مكانهِ كما ترى في الرسم المقابل وهو جبل طارق المشهور في التاريخ

عرفهُ الفينيقيون والرومانيون وسموهُ قلبي او قلفي وسمَّوا الراس المقابل لهُ من افريقية ابيلا وهما عمودا هرقل اللذان تنتهي بهما اليابسة على قول القدماء . هذا هو القول الشائع حتى الآن لكنني استبعدهُ جدًّا لان الواقف تجاه جبل طارق يرى بعدهُ لسانًا آخر من اوربا ممتدًا جنوبًا وغربًا ويرى جبلاً كبيرًا بعد رأس ابيلا من افريقية ممتدًّا شمالاً وغربًا كما ترى في الرسم المقابل فيستحيل عليهِ ان يحسب ذينك الرأسين نهاية اليابسة

ويظهر لي ان القدماء ارادوا باعمدة هرقل صخورًا قائمة في البحر امام اسبانيا الى الجهة الشمالية الغربية فاننا لما دنونا منها رأَيناها قائمة في البحر كالاطواد او كالاعمدة ولا شيء وراءها من اليابسة . واحد منها قائم كالهرم وآخر كالموشور القائم السطوح ومعهما شواهق اخرى قائمة مثلها والبحر يرغي ويزبد حولها وكثيرًا ما كسرت السفن عليها . ولما اتجه نظري اليها ولم ارَ بعدها يابسة لم اتمالك ان قلت هذه اعمدة هرقل لا سواها

وجبل طارق لسان جبلي داخل في البحر ممتد من الشمال الى الجنوب كما ترى في الرسم المقابل طولهُ ثلاثة اميال وعرضهُ ثلثة ارباع الميل وارتفاعهُ ١٤٠٠ قدم يتصل من الشمال ببلاد الاندلس وبينهما سهل منخفض والى غربيهِ مرفأ امين طولهُ ثمانية اميال وعرضهُ خمسة كان من اهم مرافىء اوربا قبل استعمال السفن البخارية . ويقابل جبل طارق من

جهة الغرب مدينة الجزيرة التي عقد فيها حديثًا المؤتمر الدولي للنظر في شؤُون المغرب الاقصى. وعلى الجانب الغربي من الجبل مدينة جبل طارق وهي قديمة من القرن الرابع عشر ولكن اكثر مبانيها حديث وفيها نحو ٢٥ الف نفس ربعهم من الحامية والباقون خليط من اليهود والاسبانيين والعرب ويقال انهم لا يعتنون بتشييد المباني الكبيرة لان حكومة الجبل تستطيع ان تستولي على كل بناء وقتما تريد وتستخدمهُ في الدفاع ومع ذلك رأَينا فيها من الشوارع والمخازن ما يقابل باحسن شوارع القاهرة ومخازنها عدا ما فيها من اماكن النزهة والحدائق الغناء

وهواءُ جبل طارق معتدل جدًّا لا يشتد فيهِ الحر ولا البرد فتبلغ الحرارة اعلاها في يوليو واغسطس وهي حينئذٍ ثلاثون درجة او اثنتان وثلاثون واوطأُها في فبراير وهي حينئذٍ خمس او ست فوق درجة الجليد ومطرهُ معتدل يبلغ نحو ثلاثين او اربعين عقدة في السنة فهو مثل جبل لبنان من هذا القبيل. وفاكهتهُ مثل فاكهة لبنان وقد اكلنا من كرزهِ وكمثراهُ وتينهِ. وتينهُ كبير اسود مستطيل جدًّا لم ارَ قبلاً ما يماثلهُ شكلاً ولا ما يفوقهُ حلاوةً

ولا يخفى ان جبل طارق امنع حصون الانكليز بل امنع حصون الدنيا لا تكاد بقعة منهُ تخلو من المدافع ومدافعهُ كبيرة جدًّا تصل قنابلها الى كل سفينة تمرُّ في البحر امامهُ ولهُ الشان الاكبر عند الانكليز لانهم يصلحون السفن الحربيَّة في حياضهِ الواسعة ويملأُونها بما تحتاج اليهِ من الفحم فهو اهم قاعدة لاسطولهم في البحر المتوسط وقد رأَيت في طوابيهِ مدفعين ثقل المدفع منهما مئة طن

ولا يعلم ان احدًا حصنهُ واستخدمهُ معقلاً قبل طارق بن زياد الذي دخل اسبانيا غازيًا من قبل الوليد بن عبد الملك قال ابن الاثير

"ثم ان موسى (عامل الوليد على افريقية) دعا مولىً لهُ كان على مقدمات جيوشهِ يقال لهُ طارق بن زياد فبعثهُ في سبعة آلاف من المسلمين اكثرهم البربر والموالي واقلهم العرب فساروا في البحر وقصد الى جبل منيف وهو متصل بالبر فنزلهُ فسمي الجبل جبل طارق الى اليوم. ولما ملك عبد المؤمن البلاد امر ببناء مدينة هذا الجبل وسماهُ جبل الفتح فلم يثبت لهُ هذا الاسم وجرت الالسنة على الاول ..... ونزل من الجبل الى الصحراء وافتتح الجزيرة الخضراء وغيرها وفارق الحصن الذي في الجبل»

وانتزعهُ فردينند صاحب قشطيلة من العرب سنة ١٣٠٢ ثم استردهُ منهُ صاحب فاس بعد نحو ثلاثين سنة واستولى عليهِ السلطان يوسف صاحب غرناطة في اوائل القرن الخامس عشر ثم استردهُ الاسبان سنة ١٤٦٢ وحصنوهُ وبقي في حوزتهم الى ان اخذهُ

منهم الانكليز سنة ١٧٠٤ . وقد حاول الاسبانيون استرجاعهُ سنة ١٧٧٩ فحصروهُ وضيقوا على حاميتهِ حتى كادت تموت جوعًا ودام الحصار ثلاث سنوات وانضم الفرنسويون الى الاسبانيين ووضعوا المدافع على اطواف حوَّطوا بها الجبل وكان عدد الحامية ٧٠٠٠ نفس لا غير لكنها تمكنت من حرق الاطواف وتغريق المدافع ولم يقتل منها سوى ١٦ رجلاً فاضطر المحاصرون ان يتركوا الجبل للانكليز وهو في يدهم الى الآن

هذه نتف من تاريخ هذا المعقل الحصين لا شأن لها عند قراء العربيَّة الَّا من حيث علاقتها باسم طارق القائد العربي الذي هو اول من جعل هذا الجبل معقلاً حربيًا ولم يزل فيهِ برج حصين من مباني العرب في الطرف الشمالي الشرقي من المدينة كما ترى في الرسم السابق. وقد حملتني رؤْيتهُ على مراجعة تاريخ تلك الامة العظيمة التي خرجت من بلاد العرب كالسيل المنهمر وفي اقل من قرن نشرت لواءها في الخافقين — راجعتهُ في نفسي وانا جالس على ظهر السفينة وهي تمخر بنا امام الجبل والمرفإ والبحرُ كصفيحة من البلور يكاد يجمد لولا الحرارة الداخلية التي تحرك دقائقهُ وراجعت الاسباب التي مهدت السبل لذلك الفتح الباهر والاسباب التي قلَّصت ظل ذلك الشرف الاثيل فرأَيت الشعر اصلح وسيلة لجمع الحقائق فقلت

ربةَ الشعر هل اتاكِ حديثٌ   عن كماة الاعراب من قبل طارقْ
عن غزاة في القفر شبُّوا زمانَ الرو   مُ والفرسُ يملكون المشارقْ
عرشَ كسرى ومصر والشام ثلُّوا   وجروا في الفتوح جريَ السوابقْ
حاول الروم صدَّهم فتصدى   كل من في ولائهم غير صادقْ
من يهودٍ وصابئين وقبط   والنصارى (١) وكل خصمٍ مشاققْ
نصروا العربَ خفيةً وجهارًا   لم يحارب للروم غير الاصادقْ

⁂

شمخ الروم قبل ذاك وجاروا   هل اتاهم ان ليس للخلق خالق
واناخ الفساد والفرس جاسوا   بحرهُ خائضين حتى المخانقْ
واذا الظلم والفساد اقاما   نضب الحوض من حماة الحقائقْ

⁂

نصر الله امةً اذ تولَّى   امرها العادلون بين الخلائقْ
قام صدّيقها باصدق امر   وتلاهُ الفاروق بالعدل فارقْ

---

(١) اي النساطرة

وكماة في المكرمات تباروا   وهم الاسد في صدور الفيالقْ
دوَّخوا الارض وطَّدوا الملك قاموا   بفروض الكتاب تحت البيارقْ
ثم عزُّوا والمُلك صار عضوضاً   فاستكنُّوا كأنهم في حدائقْ
وتباروا في البذخ فالظلم فالا   يغال في ما يعدُّ للملك ماحقْ
شمس عدلٍ ضمَّت شعوباً فلما   كسفت فُرّق الشعوب طرائقْ

الذاكرة وتقويتها

يراد بالذاكرة القوة التي نحفظ بها ذكر ما يمرُّ بنا من الحوادث او ما نسمعهُ عنها ثم نتذكر بها ما نحفظهُ حينما نريد. اي انها تشمل عملين مختلفين الواحد حفظ المعلومات والثاني تذكرها عند اللزوم . وتشمل ايضاً عملاً ثالثاً وهو شعور المرء بأن ما يتذكرهُ هو نفس الشيء الذي حفظهُ في ذاكرتهِ ولذلك فالذاكرة مؤلفة من ثلاث قوى قوة الحفظ وقوة الذكر وقوة العلم بان ما نتذكرهُ هو نفس ما حفظناهُ ولو استعملت احياناً للدلالة على قوة واحدة من هذه القوى الثلاث

والذاكرة ضرورية جدًّا ولولاها ما امكن حفظ شيء من العلوم ولا من المعلومات . والمرجح ان كل ما نتعلمهُ وكل ما يؤَثر فينا يبقى اثرهُ في ادمغتنا دائماً ولكننا كثيرًا ما نجد صعوبةً في تذكُّرهِ. فيريد الواحد ان يتذكر اسماً او صورة او زمناً وهو يعلم تمام العلم انهُ قد حفظ ذلك في ذاكرتهِ ولكنهُ لا يتذكرهُ حينما يريد تذكُّرهُ فيقول اني نسيتهُ الآن ولكنني سأذكرهُ بعد حين

والتعليم يتضمن حفظ المعلومات وتذكرها اي استحضارها عند اللزوم . وهذا الاستحضار عند اللزوم اصعب من الحفظ . ويمكن تقويتهُ بالتدريب والممارسة . وما ضعف الذاكرة الاَّ ضعف قوة التذكر او الاستحضار او سرعة الخاطر

وقد تكون الذاكرة قويَّة بالطبع وقد لا تكون قويَّة بالطبع بل تقوى بالتربية والتمرين. والتمرين يزيد الذاكرة القويَّة قوَّة كما يقوي الذاكرة الضعيفة . فاذا رأَيت شيئاً او سمعتهُ ثم نسيتهُ فاعد رؤْيتهُ او سمعهُ مرةً بعد مرة فيزيد تأْثيرهُ رسوخاً في ذهنك حتى لا تنساهُ بعد ذلك. وعلى هذا النمط يجري اولاد المدارس في حفظ كل ما يحفظونهُ غيباً نثرًا ونظماً وقد يرسخ ذلك في اذهانهم حتى يصيروا يتذكرونهُ من غير عناء بل قد يتذكرونهُ من غير رويَّة ومن غير فهم.

ويدخل تحت ذلك ما يحدث احيانًا في البحران الذي يصيب الناس في بعض الامراض فانهم يتذكرون حينئذٍ اقوالاً سمعوها في صغرهم ونسوها بعد ذلك ولم تعد تخطر ببالهم اي ان المعلومات او التأثيرات المخزونة في ادمغتهم تستحضر وهم في حالة البحران فيشعرون بها من جديد وهذا يؤيد قول القائلين ان كل التأثيرات تبقى محفوظة في الدماغ ولا يزول شيء منها

وقد ينسى الانسان معلومات كثيرة ويحاول تذكرها فلا يستطيع ثم ينوَّم بالاستهواء ويسأل عنها فيتذكرها جيدًا كأن قوة التذكر كانت غير منتبهة لعملها فتنبهت بالاستهواء

والبحث في الذاكرة يقتضي البحث في تركيب الدماغ حيث تحفظ المعلومات او التأثيرات لان الدماغ مركز العقل وقواهُ. او ان مركز اكثر قوى العقل عند التخصيص في الجزء السنجابي الذي يحيط بسطح الدماغ مع ما فيهِ من التلافيف هناك تحفظ المعلومات على الراجح ولذلك ينتظر ان ترى هناك آثار التعليم والتربية . والامر كذلك فان في هذا الجزء السنجابي عددًا لا يحصى من الحويصلات التي يتغير شكلها حسب سن الانسان فتكون في سن الطفولية مستديرة قليلة النتوات وفي سن البلوغ كثيرة النتوات وتتفرَّع منها او تتصل بها الياف او شعب كثيرة وفي سن الشيخوخة تقل هذه الفروع او تقصر

قال الدكتور شوفيلد ان الفرق بين دماغ المتعلم ودماغ غير المتعلم كالفرق بين الطريق المطروق في مدينة والطريق غير المطروق في غابة فاذا سرت في الطريق المطروق في المدينة وصلت الى حيث يؤدي ذلك الطريق على اسهل سبيل واذا سرت في طريق غير مطروق في غابة ضللت او لم تهتدِ الاَّ بعد ان تعتسف مرارًا . وغاية التعليم تمهيد طرق الدماغ وتسهيلها للوصول الى المعلومات على اسهل سبيل

وكما تطرق الطرق وتسهل بالسير المتواصل عليها كذلك تسهل طرق الدماغ بفعل الحواس الخمس فانها تحسُّ بالمؤثرات وتدخلها الدماغ فتمر بهِ مرةً بعد مرة الى ان تمهّد طريقًا . واذا كانت مادة الدماغ صالحة لذلك تمهدت الطريق فيهِ حالاً. فاذا كانت ذكراتك ضعيفة فسبب ضعفها إما ضعف دقائق دماغك واما اهمالك تمهيد الطرق فيهِ بقلة انتباهك وتوجيه ذهنك الى ما تريد حفظهُ وتذكرهُ

ويختلف الناس كثيرًا في نوع ذاكرتهم فبعضهم يسهل عليهِ تذكر الوجوه وبعضهم يسهل عليهِ تذكر الاسماء او الارقام او التواريخ وسبب ذلك اختلاف اصلي في مادة الدماغ ولكن مهما كان نوع الذاكرة فهي لا تقوى الاَّ بالانتباه الى ما يراد حفظهُ فيها والتمرن على ذلك سواءٌ كان من المنظورات او المسموعات او الملموسات او المشمومات او المذوقات او الامور

المجردة من ذلك بقوة الخيال فان الانتباه والتمرن يخزن هذه التأثيرات في مخازن الدماغ ثم يعرضها امام العقل كلما اراد تذكرها

هذا واذا شعرت ان ذاكرتك ضعفت بعد قوتها فاعلم انك متعب واذا استرحت مدة طويلة عادت ذاكرتك الى مضائها الاول كأَن الفضول تتجمع حول دقائق الدماغ كما تتجمع الاوساخ والاوضار على الطرق فتحجبها عن الانظار فاذا استراح الدماغ من عملهِ ومرَّ الدم على الدقائق الدماغيَّة فطهرها وازال الفضول عنها عادت تفعل فعلها بسهولة ووضحت المسالك التي كانت قد انطمست . ولذلك ترى الانسان يتذكر في الصباح حال القيام من النوم او قبل ان يستيقظ تماماً اموراً كثيرة نسيها في النهار او تعذَّر عليهِ تذكرها لان دماغهُ يستريح مدة النوم ويطهرهُ الدم من الفضول التي اجتمعت فيهِ مدة النهار . وتعود ذاكرتهُ الى مضائها بعد ان ينقطع عن الاشغال مدة لهذا السبب عينهِ وكما تعود الذاكرة الى مضائها يعود العقل الى مضائهِ بالنوم والراحة

فالتمرين وتوجيهُ الفكر الى الموضوع وحصرهُ فيهِ هذه الامور الثلاثة تقوي الذاكرة واذا ضعفت بالشغل الكثير فالراحة تعيد اليها قوتها

* * *

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الحمام

النظافة من اول دعائم الصحَّة ولذلك تجد المدن الشرقية كثيرة الحمامات حيث يذهب الناس ويغسلون ابدانهم وينظفونها جيداً حتى افقرهم يستطيع ان يذهب الى الحمام ويغسل بدنهُ بالماء السخن والصابون . وقد عني المشارقة ببناء الحمامات وزخرفتها فتجد حماماتهم متقنة البناء مثل كنائسهم وجوامعهم واكثر اتقاناً من مدارسهم ولا نبالغ اذا قلنا ان اجمل المباني العمومية القديمة التي رأيناها في بيروت وطرابلس وصيداء حماماتها بعد جوامعها . ولا تخلو البيوت القديمة من حمامات متقنة البناء والزخرفة واجمل حمام شاهدناهُ حمام الامير بشير

الشهابي في سراي بتدين فان صانعهُ بذل الجهد في ترصيف ارضهِ وحياضهِ وجدران غرفهِ بالرخام المنقوش

ولقد كان القدماء يعتنون بالحمامات اشد الاعتناء ويوصلون اليها الماء البارد والحار بالانابيب خاصةً ولا يخلو بيت كبير من بيوتهم من حمام متقن عدا الحمامات العموميَّة. ولا يزال ابناء هذا العصر يهتمون بانشاء الحمامات الخصوصية في بيوتهم ولو قلَّ اهتمامهم بانشاء الحمامات العمومية وقد تفننوا في اجراء الماء الحار والبارد اليها بما استنبطوهُ من الانابيب والحنفيات ووسائل تسخين الماء

والحمام على ثلاثة انواع من حيث حرارة مائهِ بارد وفاتر وحار فالبارد حرارتهُ بين ٣٥ و٦٥ بميزان فارنهيت والفاتر حرارتهُ بين ٧٥ و ٩٠ والحار حرارتهُ بين ٩٨ و ١١٠ . اما الحمام البارد فلا يجوز الَّا اذا كان المرء قوي البنية جيد الصحَّة لانهُ يدفع الدم من ظاهر الجسم الى باطنهِ ويوقف التنفس ولا يجوز لاحد ان يقيم طويلاً في الماء البارد ثم يجب عليهِ ان يخرج منهُ سريعاً حالما يشعر بالبرد الشديد ويفرك جسمهُ جيداً بمناشف خشنة. والدوش البارد كالحمام البارد وكلهُ يخشى فيهِ من احتقان الاعضاء الداخلية . ولا يجوز الحمام البارد اذا كان الجسم محترًّا او كان يشعر باقل مرض . اما الحمام الفاتر والحار فيصلحان سواءٌ كان الجسم سليماً او سقيماً

الاستحمام بماء البحر

الاستحمام بماء البحر لا يُقصَد بهِ تنظيف الجسم بل انعاشهُ في وقت الحر . ويجب ان لا تطول الاقامة فيهِ وان لا يكون الاستحمام بعد التعب الشديد ولا بعد الاكل الكثير ولا اذا كان الانسان مريضاً او مصاباً بالارَق . ويحسن ان يغوص الانسان في الماء ويغطس رأسهُ ايضاً او يبللهُ . وان يكون ثوب السباحة من الفلانلا . واذا شعر الانسان بقشعريرة وجب عليهِ ان يخرج من الماء حالاً . ولا بدَّ لمن يستحم في البحر من ان يأخذ معهُ منشفة كبيرة يتنشَّف بها والَّا تعرَّض للامراض الجلدية . واذا ازرقَّت شفتاهُ او خدرت اصابعهُ او اصابهُ صداع فذلك دليل على ان الاستحمام بماء البحر لا يصلح لهُ

غرف النوم

لا بدَّ من تهوية غرف النوم دائماً والَّا صار هواؤُها فاسداً خبيث الرائحة مضرًّا بالصحَّة

ويجب ان يكون اثاث غرف النوم بسيطاً على قدر الامكان ويحسن ان لا تعلق الستائر على شبابيكها ولا توضع فيها اسرَّة من الخشب بل من الحديد او النحاس. والحديد اجود من غيرهِ وارخص ولا داعي لوضع المقاعد ونحوها في غرف النوم بل يكفي ان يوضع في الغرفة كرسيَّان صغيران وكرسي كبير من كراسي القش. وينظر في اثاثها الى الراحة وسهولة التنظيف

البورق في البيت

البورق من المواد النافعة اللازمة لكل بيت فاذا اضيف قليل منهُ الى الماء سهل تنظيف الزجاج بهِ والصيني والرخام. واذا اذيب في الماء وغرغر بهِ نفع في التهاب الحلق. ومن الغرغرات النافعة درهم من البورق النقي ودرهمان من العسل تذاب في ٣٢ درهماً من الماء

واذا اضيف ربع رطل من البورق الى ٤٠ رطلاً من الماء ونقعت الثياب فيهِ مدة الليل سهل غسلها وتنظيفها في اليوم التالي

واذا وضع البورق في الصحاف وصُبَّ عليهِ الماء ووضعت الصحاف في غرف المرضى بالامراض المعدية ازال البورق الروائح الخبيثة من هوائها. واذا ذرَّ البورق في اقنان الدجاج ساعد على طرد الحشرات منها او قتلها. واذا ذرَّ على اللحم حفظهُ من الفساد مدة واذا اذيب قليل منهُ في الماء واضيف الى اللبن حفظهُ من الاختمار مدة لانهُ يقتل جراثيم الفساد والاختمار

والبورق جيد لغسل الشعر ولغسل الفم ولا سيما اذا اضيفت اليهِ صبغة المر

صقل النحاس الاصفر

تجد ادوات النحاس الاصفر في البيوت الاوربيَّة صقيلة لامعة كالذهب الصقيل وه يجلونها بقليل من الطباشير الناعم وعصير الليمون الحامض ثم يصقلونها بقطعة من الحور الناعم ا بخرقة من المخمل الناعم جدًّا. وقد تجلى بمسحوق القرميد الممزوج بالبارافين ثم تصقل بقطع من الحور او الفلانلا او المخمل

ادوية البيت

لا بد لكل بيت من ادوية بسيطة توضع فيهِ لكي تستعمل حين الحاجة اليها. وقد جمعن اسماء الادوية التالية التي تستطيع ربة البيت استعمالها في غياب الطبيب وبغير مشورتهِ ورتبناه على حروف الهجاء تسهيلاً للرجوع اليها

الاقراص

الاقراص كثيرة مختلفة الانواع والاشكال كاقراص السعال المحتوية على الكوكايين واقراص اصلاح الهضم المحتوية على البزموث واقراص كلورات البوتاس لتقرُّح الحلق واقراص المنثول واليوكالبتون للحلق ايضاً واقراص الكبريت لتطهير الدم

البابونج

يصب رطل من الماء الغالي على قبضة من زهر البابونج ويترك الماء حتى يبرد ثم يصفَّى وتشرب منهُ كاس صغيرة في الصباح فيفعل كمقوٍ لطيف ويجب ان يصنع جديداً كل يومين او ثلاثة لانهُ لايبقى جيداً اذا حفظ مدة طويلة ويستعمل البابونج لزقاً ايضاً وهو من اجود انواع اللزق

الحبوب

الحبوب كثيرة جدًّا كالاقراص او اكثر منها · من ذلك حبوب بتشمن وهي سهلة ومفيدة في السعال وحبوب الببسين لتسهيل الهضم وحبوب الكينا تؤْخذ في الصداع والضعف العام وحبوب الراوند وهي مسهل لطيف

الخردل

اوراق الخردل كراحة اليد لاصق بها مسحوق الخردل تبل بالماء البارد وتوضع على الصدر او الظهر كمحول في الرشح والصداع · والخردل الناعم يجبل بالماء ويبسط على الخرق او اللزق · وزيت الخردل يفرك بهِ الصدر والعنق في الزكام وتفرك بهِ المفاصل في داء المفاصل

الخشخاش

يغلى رأسان او ثلاثة من الخشخاش مع قبضة من زهر البابونج في ١٥ رطلاً من الماء للتنطيل والتهبيل

زهر الكبريت

يوضع في الماء السخن وتنطَّل بهِ المفاصل المصابة بالروماتزم · ويستعمل القليل من زهر الكبريت مع اللبن شرباً لتطير الدم · واذا مزج باللبن والماء وصُنع منهُ طلاءٌ طلي بهِ الوجه وترك عليهِ حتى يجف ثم غسل عنهُ بالماء الفاتر ازال منهُ النقط السوداء وتصنع منهُ اقراص تفيد في تطهير الدم

زيت الخروع

مسهل كثير الاستعمال صرفًا ومستحلبًا وموضوعًا في كبسول · وكثيرًا ما يعطى للصغار في اول درجات الاسهال مع نقط قليلة من اللودنم

زيت السمك

مغذٍ سهل الهضم يسمّن ويقوي الدم ويصلح هيئة الوجه · يؤخذ اولاً جرعات صغيرة بعد الاكل بثلث ساعة ثم يزاد مقدار الجرعة رويدًا رويدًا . واذا كان الانسان يكره طعمهُ ولا يستطيع شربهُ جعل مستحلبًا فلا يعود طعمهُ كريهًا

زيت اليوكالبتوس

قد يوقف الزمام بشمهِ او فرك الانف بهِ مرتين في اليوم · واذا دخلت الانفلونزا بيتًا حسن ان يرش فيهِ زيت اليوكالبتوس لمنع العدوى · ونشارة خشب اليوكالبتوس تفيد ايضًا

السنا

يستعمل للاطفال يغلى في الماء ويصفَّى الماء عنهُ او يصب الماء الغالي عليهِ ويترك فيهِ اربع ساعات ويشرب وقت النوم · ولا يستمر على شربهِ الَّا بضعة ايام لانهُ مضعف

الشب الابيض

قابض يوقف نزف الدم من البواسير ومن مكان العلق ومن الجروح الصغيرة واذا كثر خروج الدم من اللثة فوضع مذوب الشب الابيض في الفم مدة يوقف الدم ويصنع هذا المذوب من ملعقة صغيرة من مسحوق الشب في كاس صغيرة من الماء

شترات الكينا والحديد

من احسن المقويَّات للكبار والصغار يذاب درهم من الشترات في ثمانين درهمًا من الماء البارد يؤخذ منهُ ملعقة كبيرة ثلاث مرات في اليوم بعد الاكل

شترات المنازيا

مسهل لطيف مبرّد · تؤخذ منهُ ملعقتان صغيرتان صباحًا في نصف كوباية ماء واذا اضيف اليهِ قليل من عصير الليمون الحامض جاد طعمهُ

باب الزراعة

زرع التبغ في القطر المصري

لما منعت الحكومة المصرية زرع التبغ في هذا القطر كان الدافع لها الى ذلك امران جوهريان الامر الاول انها رأَت ان التبغ المصري غير جيد فلا يمكن تصديرهُ الى البلدان الاخرى فغاية ما يمكن زرعهُ منهُ هو ما يشربهُ الفلاَّحون في هذا القطر وهو مهما كثر يمكن استغلالهُ من عشرة آلاف فدان او عشرين الف فدان فلا ينتفع من زراعتهِ الاَّ عدد قليل جدًّا من اصحاب الاطيان واذا اتسعت زراعتهُ وزاد محصولهُ عن مقطوعيَّة البلاد فالزيادة لا تنفع لشيءٍ . هذا هو الامر الاول اي كون التبغ المصري غير جيد فلا يمكن تصديرهُ

والامر الثاني ان الحكومة كانت محتاجة الى المال ولا بدَّ لها من ضرب ضريبة على الاهالي فرأَت ان تضرب هذه الضريبة على الذين يدخنون لان التدخين ليس من الضروريات فالذي يريد ان يتمتَّع بهِ لا يبالي بدفع اجرة تمتعهِ

الاَّ ان المقالة التالية عن زراعة التبغ في جزائر فيلبين في وادٍ يشبه وادي النيل يحمل على الظن انهُ يمكن تعليل التبغ المصري حتى يجود ويصير مثل تبغ فيلبين الجيد فيصير تصديرهُ ممكنًا ويروج في اسواق المسكونة . وقد زال الآن الداعي الثاني وهو احتياج الحكومة الى المال فانها لم تعد محتاجة اليهِ بل صار يسهل عليها الاستغناء عنهُ فخليق بها والحالة هذه ان تمتحن زراعة التبغ وتعليلهُ في فدان او فدانين حتى اذا ثبت لها انهُ يمكن ان يستغلَّ تبغ جيد من القطر المصري اباحت زراعتهُ لكل احد . فانهُ اذا نجحت الحكومة في تجاربها وامكن استغلال التبغ الجيد من القطر المصري الذي يمكن تصديرهُ الى الخارج كان من ذلك ربح وافر لا يقلُّ عن الربح من زرع القطن وربما استطاعت الحكومة ان تفرض ضريبة كبيرة على الاطيان التي تزرع تبغًا تردُّ لها بعض ما تخسرهُ من جمرك التبغ

والمسأَلة هامَّة جدًّا لان ماء الري لا يحتمل ان تتسع معهُ زراعة القطن اكثر مما هي متسعة ولا بدَّ من زراعة أُخرى محصولها غالي الثمن وحاجتها الى الماء قليلة كزراعة التبغ

زراعة التبغ في الفيلبين

قرأنا في السينتفيك اميركان مقالةً للمستر هملتون ريت مبعوث متحف التجارة الاميركاني في الشرق فلخّص لنا بعض الادباء منها ما يأتي

لا يعرف اهل اميركا شيئاً عن زراعة التبغ في فيلبين الَّا ما يقرأُونهُ من احصاءات معامل التبغ في مانيلا واما اهل اوروبا وآسيا فانهم يعرفون اقل مما يعرف الاميركان • ولذلك رأيت ان اقول شيئاً يفيد المطلعين فان تسعة اشعار التبغ الذي تنتجهُ جزائر فيلبين وهو يعادل معظم المقدار الذي يستعمل في التجارة انما هو قد نتاج وادي كا كايان الفسيح الواقع في وسط لوزون وشماليها ومن الغريب ان هذا القطر يجهلهُ كثيرون من الاميركان النازلين في فيلبين لانهُ واقع على بعدٍ من طريق المسافرين ولم تلفت اليهِ الانظار زمن الشغب لان سكانهُ كانوا من القوم المسالمين

ومع ذلك فهو اخصب بقعةٍ في الفيلبين بل يصح ان يقال فيهِ انهُ من اخصب الاقطار في العالم وقد مرَّ عليهِ زمن طويل نحو مئة واربعين عاماً وهو ينتج التبغ اذ يُزرع في مستوًى من الارض تغمرهُ المياه ولا يحتاج في زرعهِ الى سمادٍ صناعي بل تجد سكانهُ يستغلون من تربتهِ في كل سنة موسمين التبغ ثم الذرة وكلاهما يزرعان في الارض الواحدة على التعاقب وكثيراً ما تنتج لهم البقعة الواحدة من الارض في مدى سنتين موسمين من التبغ وموسماً من الذرة • واسم هذا الوادي مأْخوذ من النهر الكبير المسمى ريو كراندي دي كا كايان وهو من اعظم الانهار في البلاد وفيهِ من خصائص نهري النيل والمسيسبي ومنبعهُ من سلسلة جبال كوردبلارا ويسير شمالاً مسافة مئتين وخمسة وعشرين ميلاً فيضاف اليهِ كثير من الانهار الاخرى ويصب في بحر الصين عند اباري وهي الميناء الشماليَّة في لوزون

وفي اثناء سيره ترى الجبال تنفرج تدريجاً فيتسع لهُ المجال والجبال قائمة على جانبيهِ الشرقي والغربي وما بينهما بقعة يكسوها اخضرار العشب مسافة مئتي ميل طولاً وعرضها يختلف بين الثلاثين والاربعين من الاميال

ومعظم التبغ النامي هنالك يحاكي العشب لقلة ما يعتنى بانمائهِ وتدبيرهِ مع ان الاعتناء بالتبغ على القواعد العلميَّة ضروري لهُ لما فيهِ من النحافة • واحسن التبغ ما كانت تربتهُ معرضة لطغيان النهر عليها وما وقع بين النهر الاعظم ومجاري الانهار الصَّابة فيهِ. وعند نهاية زمن الشتاء في اواخر دسمبر يجيءُ ريح الفصول الشمالي من صوب البحر الصيني فيرد مياه النهر عن مصبها

وبسبب ارتفاعها فيقع الفيضان على جانبي النهر فيغمر الارض الى علو قدمين او ثلاث اقدام وبعد بضعة ايام تسكن العاصفة وترتد المياه عن طغيانها تاركةً على التربة راسباً من الطمي فيزرع التبغ في الارض التي كانت تغمرها المياه وذلك في اواخر يناير او في اوائل فبراير واما الارض التي لا تصل اليها مياه الفيضان فان زراعة التبغ فيها تكون قبل ذلك ببضعة اسابيع. ولا يمر على النبت اكثر من ثلاثة اشهر حتى يعلو اربع اقدامٍ الى ست وتصفار وريقاتهُ وترقط وتجمد فيكون ذلك دليل نضجهِ

ومما يفيد ذكرهُ الاشارة الى عمل الاهلين في غرس التبغ ذلك انهم قبل غرس النبات (الترقيدة) يكونون قد استنبتوهُ من البذور في ارضٍ أُعدت لذلك كما هي الحال فى ما يسمى بالمشاتل في سوريا والترقيدة في مصر فمتى بلغ عمر النبات ستة اسابيع الى الثمانية ينقلونهُ الى التربة المعدَّة لهُ واعداد التربة يكون عندهم بعزقها عزقًا خشنًا يفعلون ذلك اثناء نمو الترقيدة. والعزق هذا يتم لهم بواسطة محراث صغير لا يدخل في الارض الاَّ اربع عقد وتكون حركتهُ بطيئة ولذلك لا يقلب الثلم

واما انتقاء البذور فامرٌ لا يعرفهُ الاهلون وقطع رؤُوس النبات وتقليم الغصون مما لا يستلفت انظارهم مع ان في ذلك ما يزيد النبات قوة. ولكنهم يقطعون البزور غالباً. وعند قطع الوريقات تعالج في الشمس ولكنها على الاكثر تترك فتعفن ويصبح تبغها من الدرجة الرابعة او الخامسة لان تدبير النبات هو الذي يعين على بلوغهِ المراتب العليا وبالنتيجة علو الثمن وليس ثمت من مظال لتدبير التبغ الاَّ في المزارع الكبرى

وبالرغم عن النقص في الحراثة والتدبير تنتج فيلبين ضرباً من التبغ الفاخر ليس اجود منهُ في الدنيا

ويقول الاستاذ ليون من موظفي ادارة الزراعة في فيليبين ان وادي كاكايان يضارع القطر المسمى ڤولتا اباجو من جزيرة كوبا وهو ذائع الصيت بتبغهِ الاَّ ان معظم تبغ فيليبين من الانواع الدنيا لانهُ تنحط رتبتهُ في معالجتهِ حتى انهُ ولو تمتع تجارهُ بحرية تجارتهم مع الولايات المتحدة فانهُ يشك باقتدارهم على مناظرة تبغ كوبا في الاسواق الاميركية بالنظر لعجز فيليبين عن انتاج كميات كافية من النوع الفاخر. على انهُ يقتضي صرف بضعة سنين لتعليم الاهلين مناهج زرعهِ ومعالجتهِ ولكن الاعتناء بزراعة ربع البقعة التي تزرع الآن يدر على اصحابها اكثر من الزراعة المهملة الحاضرة ولو كانت هذه اكثر اتساعاً

ولما كانت الحكومة الاسبانية صاحبة السيادة كانت حاصرةً زرع التبغ اما الآن فقد

رفعت الحكومة الاميركية الحصر واصبح اهل كاكايان يملكون ارضهم ويتصرفون في زرعها على اهوائهم . وعدد سكان القطر نحو من ١٤٢ الفاً والملاَّك فيهِ يبلغون ٢٣ الفاً فاذا اعتبرت ان العائلة تؤلف من خمسة انفار تجد ان كل الزرَّاع تقريباً يملكون الارض التي يشتغلون فيها . ومثل هذه الحالة جارية في قطر ايزابلا الواقع الى جنوبي كاكايان وفيهِ يزرع التبغ ايضاً ولا خفاء ان الحقل الصغير من الارض الصالحة لاستنبات التبغ الجيد انما يكون ثروةً لصاحبهِ لان العائلة المتوسطة يمكنها ان تعيش بنتاج مساحةٍ تقل عن هكتار (فدانين ونصف) وكل افراد العائلة تشارك في العمل فترى كل الاهلين القادرين على العمل في وادي كاكايان يشتغلون بشيءٍ من الاعمال المتعلقة بالتبغ ومع ان اكثر المشتغلين فيهِ هم من الملاَّك الصغار فان ثمَّ بضعة محلاتٍ كبيرة تشتغل فيهِ في وادي كاكايان واهمها محلات اسبانية والمانية واعظم الشركات شركة تأسست سنة ١٨٨٢ قيل ان ابتداء اعمالها كان برأس مال صغير فاصبحت لهذا العهد من اغنى الشركات واقدرها وقد تقرر لها مؤخرًا رأس مال يبلغ ١٧ مليونًا من الريالات الاميركية وهي تعطي ربحًا وافرًا

اما الاميركان فليس لهم في الوادي الَّا شركة واحدة هي شركة زراعة فيليبين وهي خليقة بالذكر لانها تقوم باهم الاعمال الزراعية في حرث الارض واستغلالها فقد سبق لها ان اشترت مزرعة كبيرة وبنت فيها بنايات على الطرز الحديث وملأَت المزرعة بالادوات الحديثة الاختراع لمعالجة الارض وزرع التبغ وعهدت بادارتها الى رجل ماهر فادرَّت المزرعة هذه السنة نتاجها الاول والآمال معقودة ان تنال الشركة في الربيع الآتي موسماً حسناً لان على مستقبل اعمالها يتوقف جني الفوائد للحكومة والاهلين الذين ينتظرون بفارغ الصبر الوقوف على نتاج المناهج الحديثة

ولا خفاء ان تبغ الفيليبين يباع في بلادٍ واسعة جدًّا . فمن كانتون حتى باكين تباع اعلى السيكارات واردةً من مانيلا وترى اليابانيين مولعين بتدخين السيكار الفيلبي

ومع كل هذا الاقبال ترى ان نتاج التبغ في الفيليبين يقل اهمية بالنظر لتزايد الطلب في العالم (١)

وقد خمنت قيمة التبغ المفروم في فيليبين سنة ١٩٠٥ خمسة ملايين ونصف من الريالات الاميركيَّة وبلغ ثمن الصادرات من السيكار نحو تسعمئة الف ريال ومن السيكارات اكثر

---

(١) ينفق في الولايات المتحدة كل سنةٍ نحو ٤٤٠ مليون ليبرة من التبغ وفي المانيا نحو ٢٠٢ مليون وفي روسيا ١٥٠ مليون وفي فرنسا نحو ٨٤ مليون وفي انكلترا نحو ٨٣ مليون

من اربعة عشر الف ريال ومن ورق التبغ بنحو مليون واربعمئة الف ريال وقيمة المباع في البلاد باكثر من ثلثة ملايين وربع كل هذا عدا عن مقدارٍ عظيم من التبغ الدنيء الرتبة يبع كلهُ لاهالي البلاد . ومما يذكر ان تبغ فيليبين متى ارسل الى الخارج وعولج في المصانع الاجنبيَّة بيع نتاجهُ باغلى من نتاج المصانع الوطنيَّة اربعين مرةً او خمسين

واعظم الناس ميلاً لتدخين تبغ الفيليبين هم اهل البلاد وعددهم يربو على ثمانية ملايين وكلهم حتى القبائل غير المسيحيَّة من اشد المولعين بالتدخين لا يشذ عن ذلك نساؤُهم وصغارهم . وفي المقاطعات التي لا تزرع التبغ ينفق مقادير منهُ يربو ثمنها على مبلغ الصادر . وفي الكاكايان عادة غريبة جدًّا وهي ان النساء يدخنَّ سيكارًا ضخماً طولهُ نحو متر ومحيطهُ عدة عقد ومن الغريب ان النساء يدخنَّ هذا السيكار الضخم فلا ينتهين منهُ الَّا بعد يومٍ او يومين . وترى في الاحايين انهم يعلقون مثل هذا السيكار في السقف مدلًّى الى الاسفل فيتعاقب اهل البيت على التدخين منهُ . واما الرجال فيغلب عليهم تدخين السكاير ومنهم من يدخن السيكار المعتدل الحجم

موسم القطن

انتهى الموسم الماضي فبلغ الوارد الى الاسكندرية من غرة سبتمبر سنة ١٩٠٦ الى آخر اغسطس هذه السنة ٦٨٦٥٨٩٩ قنطارًا اي اقل من سبعة ملايين قنطار بنحو ١٢٤ الف قنطار وبلغ الصادر من الاسكندرية في آخر اغسطس ٦٩٣٦١٢١ قنطارًا اي اقل من سبعة ملايين قنطار بنحو ٦٤ الف قنطار فقط اي صدر من الاسكندرية اكثر مما ورد اليها لانهُ كان فيها متأَخرات من العام السابق فقلَّت عمَّا كانت . وورد اليها من البزرة ٤١٤٦٣١٤ اردبًّا . وصدر منها ٣٧٨٧٣٧٥ اردبًّا

ويظهر من تقرير مصلحة الجمارك انها قدَّرت ثمن قنطار القطن المحلوج المرزوم ٣٥٠ غرشًا وثمن اردب البزرة ٥٠ غرشًا ولا نبالغ اذا قلنا ان الذين اشتروا القطن المصري دفعوا للقطر المصري ثمن قنطار القطن المحلوج المرزوم ٤٠٠ غرش وثمن اردب البزرة ٦٠ غرشًا واذا جرينا على هذا التقدير وجدنا ان ثمن القطن الذي صدر من الاسكندرية في العام الماضي مع اجرة حلجهِ ونقلهِ الى الاسكندرية ورزمهِ فيها بلغ ٢٧٧٤٤٤٨٤ جنيهًا وثمن البزرة ٢٢٧٢٤٢٥ والجملة ٣٠٠١٦٩٠٩ اي اكثر من ثلاثين مليونًا من الجنيهات يخرج منها اجرة الحزم والنقل والحلج وعمولة السماسرة والتجار وما بقي فهو ثمن القطن الذي اخذهُ زارعوهُ

فالامر واضح ان اوربا واميركا دفعتا لحساب القطر المصري ثلاثين مليونًا من الجنيهات ثمن الموسم الاخير من القطن ولا يستلزم ذلك ان يكون هذا المال قد وصل كلهُ او اكثرهُ الى سكان القطر المصري لان على القطر ان يوفي فائدة ديونهِ وديون حكومتهِ وثمن وارداتهِ كلها وقد اوفاها كلها من ثمن القطن

وتدلُّ الدلائل الآن على ان الموسم الحاضر سيكون اكبر من الموسم الماضي بنصف مليون قنطار او اكثر والسعر حتى الآن اعلا من سعر الموسم الماضي فاذا زاد الموسم نصف مليون قنطار وزاد متوسط السعر ريالاً واحدًا فقط بلغت الزيادة نحو اربعة ملايين جنيه فسيباع الموسم الحاضر قطنهُ وبزرتهُ باربعة وثلاثين مليونًا من الجنيهات

* * *

باب الصناعة

التصوير الشمسي الملوَّن

كتبتُ فصلاً في المقتطف عن التصوير الاورتوكرمتيكي الحديث ومزاياهُ منذ سنتين ونيف وذكرت في صدد كلامي ان التصوير الشمسي بالالوان لا يزال بعيد المنال عسر البلوغ مع كثرة عدد الباحثين فيهِ والساعين لاكتشافهِ . ولما كنت في بلاد الانكليز في صيف ١٩٠٥ زرتُ معرض التصوير الشمسي الذي تقيمهُ الجمعية الملكية كل سنة واطَّلعت على آخر ما توصَّل الى عملهِ المصورون في التصوير الشمسي بالالوان وشاهدت صورًا ملونة بالوانها الطبيعية الحقيقية وهي غاية في الرونق والجمال انما لدى استطلاعي الطرق التي اتُّبعت لعمل تلك الصور وجدت انها دقيقة العمل يصعب النجاح فيها وزد على ذلك فنفقاتها باهظة . فطريقة "سانجر شبرد" مثلاً ان تصور ثلاث صور من المنظر نفسهِ على ثلاثة الواح منفصلة وحساستها للالوان التي في النور الشمسي مختلفة فيرتسم في اللوح الاول كل ما في المنظر من الاجسام الحمراء اللون ويرتسم في اللوح الثاني كل الاجسام الزرقاء وفي اللوح الثالث كل الاجسام الصفراء . وبعد اظهار هذه الالواح يطبع كل منها على حدةٍ على جلاتين محسس شفاف ملوَّن بحسب اللون الذي يختص بهِ ذلك اللوح . فاللوح الذي رسم الاجسام الحمراء تطبع منهُ صورة الاجسام الحمراء وهكذا اللوحان الآخران ثم تؤْخذ الصور المطبوعة وتلصق بعضها

فوق بعض بكل دقة واعتناء فيتكون منها صورة اصلية للمنظر المصور كلهِ بالوانهِ الطبيعية . وشاهدت طريقة ثانية لعمل الصور المصورة بالوانها الطبيعية وتسمى "پيناتايب" ومبدأها على نمط الطريقة المتقدمة الذكر من حيث التصوير على ثلاثة الواح كل منها لاحد الالوان الرئيسية ولكن عملية طبع كلٍ من هذه الالواح تتعلق بفن الطباعة اكثر مما تتعلق بالتصوير الشمسي . فيصنع من كل لوح انموذج من الجلاتين ويقسى ثم تذاب كل الاقسام ما عدا المختصة باللون المطلوب وتبقى مرتفعة عن سواها وعند طبع الصورة منها على الورق تحبر بحبر مختص باللون المطلوب و يؤتى بورق عادي و يضغط عليها بمكبس وتطبع الورقة ثلاث مرات من ثلاثة الواح بارزة تحضرت على الطريقة المذكورة آنفاً وتظهر الصورة كاملة الالوان جميلة جداً

ولكن هاتين الطريقتين وما سواهما من الطرق والتجارب التي قام بها مصورون مختلفون لم تكن تأتي بالغرض المطلوب لكلفتها الزائدة ودقتها وطول الوقت الذي تستغرقهُ

وقام منذ ثلاث سنوات مصور فرنسوي يسمى ديكوس دي هورون وذكر مبدأً شرحهُ واذاعهُ على الجمعيات العلميَّة يتيسر بهِ الحصول على صورة ملوَّنة من مجرد استعمال لوح واحد فقط ولكن لم نعد نسمع عنهُ وعن طريقتهِ هذه الاَّ منذ عهد قريب اذ جاءتنا جرائد اوربا حاملة الينا نبأ اتمام هذا الاختراع الجميل على يد اصحاب المعامل الفوتوغرافية اخوان لوميير المشهورين في فرنسا فانهم لما دروا بمبدإ دي هورون اعتنوا باخراجهِ من حيز الفكر والقول الى حيز العمل واعتمدوا على تجارب الاستاذ جولي العالم المصور الشهير وما زالوا يوالون البحث حتى عثروا على طريقة تجعل هذه الامنية في الامكان ولم يلبثوا حتى اذاعوا اكتشافهم هذا واثبتوهُ رسمياً وعياناً واعلنوا عزمهم على صنع الواح للمبيع ليتيسر للجميع الاشتغال بها فاشتهر اسمهم الآن بين المخترعين او المكتشفين من اربارب هذا الفن وقد لا يمضي زمن طويل حتى ينالوا من هذا الباب الجديد ثروة طائلة لان طريقتهم هذه بسيطة العمل يسهل فهمها ويمكن لاي مصور عادي ان يشتغل بها بنجاح ونفقاتها بخسة جداً بالنسبة الى نفقات الطرق الاخرى التي ذكرت منها اثنتين في أول كلامي وفي جانب النتيجة التي تحصل منها

واذ كان المقتطف اول المجلات العربية المعدة لذكر الاكتشافات والاختراعات الحديثة فان شرح طريقة اخوان لوميير قد تصلح لهُ لا سيما وان كثيرين من المشتغلين بفن التصوير الشمسي طالما تمنوا التصوير الشمسي بالالوان ويهمهم الوقوف على ما وصل اليهِ الساعون فيهِ الآن

— وصف الطريقة —

ان السر في تلوّن الصورة بالالوان الطبيعيَّة هو في اللوح الحساس المحضر على طريقة

تختلف عن الطرق المتبعة عادة . ويكفي القول هنا ان الثلاثة الالوان الاصلية التي في الطيف الشمسي موجودة في طبقة دقيقة جدًّا تحت طبقة الجلاتين المحسَّن وهي تتلون بعد التعريض في آلة التصوير بحسب لون النور الذي نفذها

اما جلاتين هذه الالواح فاورتوكرمتيكي المزيج شديد الحساسة حتى للنور الاحمر واذ كان لابد من استعمال النور في الغرفة المظلمة وقت الاظهار فيعتمد على النور الاحمر الضئيل. وهذا الجلاتين لطيف جدًّا سريع العطب فيجب الحذر من مسهِ عند تناولهِ . ويركَّب اللوح منهُ في الشاسي على عكس ما يركَّب اللوح العادي فيدار وجههُ المطلي بالجلاتين الى داخل الشاسي ويبقى وجه الزجاج مواجهًا للعدسية داخل الآلة ذلك لكي تنفذ اشعة الصورة في الطبقة الملوَّنة اولاً وتفعل بها ما يولّد الالوان في الصورة الناتجة . وعند عمل التعريض يركب حاجز من الزجاج الاصفر وراء العدسية تمامًا كما في التصوير الاورتوكرمتيكي لكي يخفف قليلاً من فعل اللون الازرق والبنفسجي من نور الشمس . ويتراوح التعويض من ثانية واحدة في الخارج الى ثلاثين ثانية في الداخل وذلك حسب قوة النور وشدتهِ او ضعفهِ وقلتهِ

وعند اظهار الصورة يؤْتى بالسوائل الآتي ذكرها حسب الترتيب المذكور ايضًا وتجري عملية تغطيس اللوح وغسلهِ حسب هذه التعليمات وهي تعليمات اخوان لوميير

المظهر	محلول (١)	
كحول	١٠٠	غرام
حامض بيروغاليك	٣	غرامات
	محلول (٢)	
ماء نقي	٨٥	غرامًا
بروميد البوتاس	٣	غرامات
روح الامونيا النقي	١٥	غرامًا

الاستعمال — يضاف عشرة غرامات من المحلول (١) الى مئة غرام من الماء وقبل الاظهار يضاف اليها عشرة غرامات من المحلول (٢) ثم يغطس اللوح المعرض في هذا المظهر ويبقى فيهِ دقيقتين ونصف دقيقة ثم يخرج منهُ ويغسل بالماء الجاري اقل من نصف دقيقة ويجب ان يكون المغطس محجوبًا عن النور الاحمر ولا ينظر الى اللوح الاَّ بعد مرور الدقيقتين ونصف فتظهر الصورة عندئذٍ سلبية اعتيادية . وبعد غسل اللوح كما تقدم تحوّل الصورة السلبية الى

صورة ايجابية بمجرد وضعها في المحلول الآتي الذي يذيب الاملاح الفضية التي قد تحولت بالمظهر

المحوّل محلول ※ ٣ ※

ماء نقي	١٠٠٠ غرام
برمنغنات البوتاس	٠٠٠٢ غرام
حامض سلفريك	٠٠١٠ غرامات

يغطس اللوح في الظلام في هذا المحلول ويبقى فيهِ دقيقتين ثم يخرج الى نور النهار الابيض لان هذا مما يساعد على توليد الالوان في اجزاء الصورة · وينظر الى اللوح كما ينظر عادة الى سلبية فوتوغرافيَّة فتظهر الصورة محولة الى ايجابية والالوان ظاهرة فيها بضعفٍ · نيغسل اللوح ثانية اقل من نصف دقيقة ويغطس في المحلول الآتي

محلول ※ ٤ ※

ماء نقي	١٠٠٠ غرام
سلفيت الصودا انهيدروس	٠٠١٥ غراماً
ديا ميدو فينول	٠٠٠٥ غرامات

وهذا يقوي الالوان ويزيدها رسوخاً ولكنها لا تزال مفتقرة الى التقوية وذلك يتم بتغطيسها في المقوي . وقبل تقويتها يجب ازالة كل اثر للمحلول الرابع فتغسل ١٥ ثانية بالماء ثم تغطس في المحلول الآتي

محلول ※ ٥ ※

ماء نقي	١٠٠٠ غرام
محلول (٣)	٠٠٢٠ غراماً

ثم تغسل في الماء ثانية اخرى وتغطس في المقوي التالي

المقوّي محلول ※ ٦ ※

ماء نقي	١٠٠٠ غرام
حامض بيروغاليك	٠٠٠٣ غرامات
حامض ستريك	٠٠٠٣ "

محلول ※ ٧ ※

ماء نقي	١٠٠ غرام
نترات الفضة	٠٠٥ غرامات

للاستعمال — خذ عشرة غرامات من محلول (٧) واضفها الى مئة غرام من محلول (٦) وغطس اللوح في مزيجها فلا يلبث السائل ان يتحول الى لون اصفر وعند ذلك اخرج اللوح منهُ . وهنا تظهر الصورة قوية الالوان ولكن اصفرار المزيج الاخير يكسبها شيئًا من الاصفرار ايضًا وهذا يزول بغسل اللوح بالماء ووضعهِ في المروّق

المروّق	محلول ﴿ ٨ ﴾
ماءٌ نقيٌّ	١٠٠٠ غرام
برمنغنات البوتاس	١ غرام

ويبقى اللوح في هذا المغطس نحو دقيقة ثم يخرج ويغسل بالماء وهنا تظهر الصورة كاملة بالوانها الاصلية الطبيعيَّة وهي لا تحتاج بعد ذلك الاَّ الى التثبيت وهذا يتم بتغطيس اللوح في المثبت التالي برهة وجيزة

المثبت	محلول ﴿ ٩ ﴾
ماءٌ	١٠٠٠ غرام
هيبو سلفيت الصودا	١٥٠ غرامًا
بيسولفيت الصودا	٥٠ "

ويبقى اللوح في هذا المحلول دقيقتين ثم يغسل بالماء نحو اربع دقائق ويركز جانبًا . وينشف الجلاتين حالاً وتبقى الصورة ثابتة

هذا كلام مجمل عن التصوير بالالوان بطريقة الاخوان لوميير عن لوح واحد . وهم يصنعون الآن هذه الالواح للبيع ويبيعون معها كل السوائل اللازمة والحاجز الاصفر للعدسية . وفي الختام اذكر بعض امور جديرة بالاعتبار

اولاً الالوان التي تظهر في الصورة هي في الاصل مغطاة بطقة ملونة تحت الجلاتين الحاس

ثانيًا الصورة تظهر بالوانها من مجرد استعمال لوح واحد حساس

ثالثًا الصورة تظهر وتبقى في الجلاتين ولا يمكن نقلها الى الورق ولا يمكن عمل مثلها منها

رابعًا ينظر الى الصورة بالنور النافذ اي كما ينظر عادة الى السلبيات الفونوغرافية او كما ينظر الى صور الفانوس السحري

خامسًا تستغرق الصورة نحو عشر دقائق حتى يتم اظهارها وتثبيتها وتنشيفها

الخرطوم اسكندر مكاريوس

باب التقريظ والانتقاد

تراكمت المطبوعات علينا هذا الصيف فلم نستطع تقريظها حين ورودها لاننا كنا غائبين عن القطر . هذا عذرنا نبسطهُ لدى اصحابها الكرام

الدليل
في موارد اعالي النيل

كتاب كبير الفهُ بالانكليزية جناب السر وليم جارستن مستشار نظارة الاشغال العمومية وعربهُ حضرة ابرهيم بك مصور رئيس الترجمة في تلك النظارة

طالما رأينا لرجال الحكومة المصرية من الانكليز والفرنسو يين كتباً جليلة تبحث في المواضيع المصرية التي يهمُّ المصريين معرفتها قبل غيرهم وهي بالانكليزيَّة او الفرنسويَّة لا يستفيد منها الاَّ نفر قليل من ابناء هذه البلاد ككتب مصلحة الصحة ومصلحة الري ومصلحة المساحة ومصلحة الآثار . وطالما طلبنا ان تترجم هذه الكتب الى العربيَّة وتطبع فيها . وهذا اول كتاب أُجيب بهِ طلبنا وعسى ان يكون مقدمة لغيرهِ من الكتب المفيدة

يظهر موضوع الكتاب من التمهيد الذي مهَّدهُ لهُ المؤلف . قال : —

وضعتُ كتابي هذا وجل قصدي ان اسرد فيهِ ماجريات رحلتي الاخيرة الى منطقة البحيرات في اواسط القارة الافريقية غير اني رأيت ان اضمّنهُ ايضاً ما استوعيتهُ في خمس سنوات متواليات من الحقائق والقضايا الاولية في ما يختص ببحر الجبل مشيراً فيهِ الى ما تجربتهُ من المعلومات النافعة في المشاريع التي توضع في مستقبل السنين لتعديل شؤُون النيل الابيض والحقتهُ بنبذة لجناب المستر ديبوي احد مفتشي الري في الديار المصرية اورد فيها حادثات رحلتهِ في انحاء بحيرة تسانا وانهار السودان الشرقي . . . . وليس هذا الكتاب بمنزلة رحلة ادوّنها فان البلاد التي جبتها قد وصفها كثيرون غيري ابيَن مني وهم من اكابر الكتَّاب وما كتابي الاَّ كتاب فنّي دوّنتُ فيهِ انباءً عن حوض النيل نسَّقتها تنسيقاً ملائماً اقصد بذلك التسهيل لاستيعاب المسائل والحقائق المختصة بمياه النيل ”

هذا والترجمة في ٦٣٦ صفحة كبيرة وفيها كثير من الصور الفوتوغرافية الاصل ومن الخرائط والرسوم . والوصف في هذا الكتاب اكثر اسهاباً منهُ في الكتب العلمية حتى كأَنهُ

رحلة شعرية واليك فقرات منهُ وبين منها شكل الوصف واسلوب الترجمة

" والى ما بعد ملتقى (نهر) الزراف شرقًا يكون البرُّ سويًّا لا طلاوة على مرآتهِ فانت ترى على كلا جانبي النيل براحًا عشيبًا على قدر مد النظر تكون في ما بينهُ وبينها منافع رحيبة الابعاد وجروفهُ هناك سافلة جدًّا والجانب الايسر لا تبصر العين فيهِ شجرًا . وفي ما يلي عمارة الشلوك لا يشرف الرائد على شيء يخفف فظاعة هذا البراح سوى جراثيم النمل وهي قراها منبثَّة في عامة صحيفهِ وعلى الجانب الايمن نطاق من الارض حافل بالعضاد وصغار النبات يكاد افتراشهُ فيهِ يكون متواصلاً "

وقال في مكان آخر

" هذا ولكي نأتي على وصف الاقطار الواقعة الى الشمال عن حصن بُرتل ينبغي الشروع بالمسير من محلة ذلك الحصن فيكون عامة الطريق على مسامتة وادي المجرة والبلاد هناك تضاهي البلاد الواقعة في الجنوب عن المحلة المذكورة بمعنى انها علاية تقوم فيها هضاب تحتها اودية في بطونها غدران جمَّة مستنقعة وهي تمرُّ صوب الشمال والشرق الى أمدٍ على قدرِ مدّ البصر . وقلَّ من هذهِ الهضاب ما يكون كثير الارتفاع فعامتها نبوات مستديرة نائئة والبر يتعالى شيئًا فشيئًا من الشرق الى الغرب حتى يلحق بحرف العقبة والارض في مدى من الحصن نباتها كثير ولكنهُ ازعر متفرق البقاع . وبعض الاودية بعضها يستفيض اعشابًا مديدة يكون من بينها البردي الملتف يتخلل منابتها ادغال . وهذه الاقطار هي جزءٌ من منطقة مَطارح نهر امبنجو ومحافل مائهِ ومن ورائك جبال رونزوري جلية للعين ولها ستة او سبعة رؤُوس تكسوها الثلوج . وعلى مائة وخمسة وعشرين كيلومترًا من خطوي يقع السائر الى اطراف غابة بودنجا الكبرى ومن تلك المحلة على مائة وثلاثة وثلاثين كيلومترًا عنها ترى الفرع الشمالي الاقصى لنهر امبنجو المعروف ايضًا بنهر مانوبو يجري في وادٍ منفرجهُ خمسون مترًا . ولما أبعدنا ستة كيلومترات اخرى اتينا الى هضاب السَّيل والى الشمال عن تلك الهضاب يندفع ماء النقيل من علو فيصب جميعهُ في نهر امسيسي الرامي الى بحيرة البرت وعند الكيلومتر المائة والثاني والاربعين هناك مبدأ غابة بودنجا وهي تكون في مسامتة خط المجرة الى مسافة عدة كيلومترات شمالاً والغابة من الطريق غربيَّةٌ وهي محشوكة شجرًا انيقًا صالحًا للبناء يضاهي الغابة الكبرى الى الغرب عن وادي مملكي وفرةً ونضارةً وتُقارِن غابة بدوما في كونها مرابض لجماعات الفيلة تنحدر الى وادي البحيرة سائرة في مضايق الجروف ثم تصعد راجعة الى الغابة

"اقول ولما كان الصيد محتكرًا في عامة مقاطعة طورو كان رمي الافيال بالرصاص غير مباح البته فصار من ذلك ان اناسي الاقطار الواقعة على سواحل بحيرة دويرو وامم الارض المجاورة لتلك الغابات قد هاجروا مواقعهم ومفترشاتهم اذ امتنع عليهم وقاية منابت الموز هناك من عيث الفيلة فيها وبما ان الموز هو عماد اقواتهم قد جلب هذا الامر عليهم ضررًا اكبر ولذلك كان من المقرر الثابت ان تنتقص ايرادات ذلك الاقليم · والفيلة في عامة مستعمرة اوغندا محتفظ بها احتفاظاً كلياًّ حتى لا يخشى البتة ان يعتريها انتقاص يعتد بهِ فهي تجول سراحاً في اديم تلك الارض اسرابًا كثيرة العدد فان اثر قوائمها اي اخفافها في كافة تلك الانحاء في حين ان يندر معاينتها · وطبيعة الارض فيما وراء ذلك بعشرين كيلو مترًا أو نحوها لا تختلف في عامتها عما قبلها فالارض متعادية ذات كسور بين هبوط وصعود فهي اودية وجبال متعاقبات بالانتظام الدقيق وفي سمت الشرق القصي سطور من الهضاب وجبال كاجورارا تستطيل في الفضاء منفردة بنفسها ويكون ارتفاعها نحوًا من خمسمائة متر وهي على ستة عشر او سبعة عشر كيلو مترًا عن شرق الشعاب الصخريَّة المحيطة بوادي البحيرة · وفي مدى تلك الفترة جاوزنا اربعة جداول كلها ترمي الى نهر امسيسي عمدتها جدول أُزُوَيے عند الكيلو متر المائة والحادي والستين وهو يمرُّ بالصوب الشمالي في وادٍ فجوتهُ ثلاثمائة متر وسعة مسيلهِ اليوم ستون مترًا لا يتجاوزها · جروفهُ قائمة ارتفاع مسقطها متر واحد مدهُ أي عالية مائهِ متران وخمسة وعشرون سنتيمترًا وفي اعتقادي ان جمهور مائهِ في ابان فيضهِ عظيم المقدار — هذا وعند الكيلو متر المائة والرابع والسبعين ادركنا نهر امسيسي وهو نهر يفصل بين مقاطعة طورو وبلاد اوغندا وهو اعظم الانهار الرامية الى بحيرة البرت ما خلا نهر فكتوريا· اما وادي مسيلهِ فواسع بعيد القرار غاص بملتف الشجر وتكون الحروف اليمنى اي الشمالية في قيامها الى علاية ارتفاعها عن قاع النهر بقدر مائتي متر مدرَّجةً بدرجتين وهي مستفيضة شجرًا وأصل تكوينها هو انفجار احدى المهاوي الكبرى التي تقطع العلاية من شرق الى غرب · اما المرتفع الى الشمال عن نهر امسيسي فيذهب في الارض مسافة بعيدة وهو محشوك ادغالاً وتوجد الزروع في مبداءهِ على قلة وبعد ذلك تنقلب طبيعة الارض فتصبح مشاهدها موحشة الى حد الافراط فهي خراب يباب لاعمارة فيها ولا اهل ولكن الهضاب تكون اعلى واسمى وذلك يذهب بشيء من غلظة تلك المشاهد · اما الاودية فبعيدة الاغوار وفي عامتها مناقع اديمها رَدَغة نسيجة طينتها حمأَة منتنة فيهِ سامق البردي وشجر القصب ويسيل في عرض هذه المناقع جداول وانهار متطوحة فيها وجراثيم النمل اي قراه في هذه الارض تختلف شكلاً فيها عما في

غيرها فهي اشبهُ بنبات الفطر عظيم الجرم سوقها قائمة عموديَّة وهي مدورة متوسط قطر تدويرها يكون ثلاثة وخمسين سنتيمترًا ورؤُسها مستديرة ايضاً لكنها منفرشة منتشرة كالعُرهون (وهو الفطر من الكمأَة) وربما وجدت هذه الرؤُس لاتقاء زواعب السيول اما ارتفاعها فلا يكاد ينيف على متر واحد "

والكتاب كلهُ على هذا النسق من الوصف والترصيف · ولقد عُني المترجم باختيار فصيح الالفاظ وبليغ المباني وبالغ احياناً في تنميق ديباجة الكلام فاختار الفاظاً غريبة اضطرَّ ان يفسرها بما يرادفها كما رأيت في كلمة الجراثيم وحبذا لو اقتصر على المتعارف الشائع الاستعمال من الالفاظ والتراكيب حتى لا تفوت الفائدة احدًا من القراء

وحري بقراء العربيَّة ان يسدوا الشكر الجزيل للمؤَلف والمترجم على هذه التحفة النفيسة وعسى ان يكون هذا الكتاب ممهدًا للاعمال الهندسية العظيمة التي تعود بالنفع الكبير على القطر المصري والقطر السوداني معاً

تاريخ دول الاسلام

تأليف رزق الله افندي منقريوس الصدفي

نحن الآن في عصر التحقيق لا يرضينا ما وضعهُ المؤَرخون المتقدمون او ما نقلوهُ بالتواتر من غير تمحيص فكل ما ذكروهُ عن عاد وطسم وجديس وثمود وقحطان وعدنان وملوك اليمن وملوك كندة وملوك العراق موضوع او مجموع من اخبار منقولة بالسماع لا يعوَّل على شيء منها ما لم تؤَيدها الآثار او المؤَلفات اليونانية او الرومانية التي كتبت في عهدها لان العرب لم يدوّنوا تواريخهم الأَ بعد الهجرة بزمن طويل ولا يخفى ما يعتور الاخبار من الخلط والتحريف اذا بقي الاعتماد فيها على الذاكرة والاخذ بالسماع هذا اذا فرضنا صدق الرواة وبعدهم عن الكذب والتشيع · ولقد حاولنا مرة نقل اخبار الثورة العرابية عن الذين شاهدوها وكانوا مشاركين فيها فلم نجد اثنين يتفقان في الامور الجوهريَّة فضلاً عن العرضية وكان ذلك بعد الثورة ببضع سنوات فما قولك باخبار تروى عن حوادث بعد حدوثها بمئة سنة او مئتي سنة او اكثر · ولا بأس بذكر ما ذُكر في التواريخ العربيَّة مبهماً او مجملاً ولكن يليق بالمؤَرخ من ابناء هذا العصر ان يشير الى انهُ منقول برمتهِ عن كتب العرب ولا يتحمل الأَ تبعة ما ثبت لهُ منهُ بالبحث الدقيق

ولم يكد الاسلام ينتشر في المسكونة حتى نشأَ في بلادهِ المؤَرخون فدونوا حوادث عصرهم

بما استطاعوا او بما ارادوا من الدقَّة والانصاف ولو جمعت التواريخ العربيَّة التي ذكرت فيها اخبار دول الاسلام لملأَت مئات من المجلدات الضخمة ولذلك احسن حضرة رزق الله افندي منقريوس الصدفي مؤلف هذا الكتاب في جمعهِ خلاصة ما جاء في هذه التواريخ ليستعين بها الباحث الذي يمنعهُ ضيق الوقت عن الرجوع الى المطوَّلات او لا يجد اليها سبيلاً · وقد جعلهُ ثلاثة اجزاء صدر الآن الجزء الاول منها وهو ينتهي بالدولة الحسينيَّة في كردستان سنة ٩٧٦ للميلاد ويليهِ الجزء الثاني ويبتدئ بالدولة الغزنوية بكردستان وينتهي بالدولة المرينية بمراكش سنة ١٢٣١ للميلاد ثم الجزء الثالث ويبتدئ بالدولة النصرية الاحمريَّة بالاندلس وينتهي بقيام الدراويش في السودان سنة ١٨٨٠ · وحبذا لو نبَّه الى ان بعض ما نشرهُ فيهِ من الصور خيالي لا حقيقي مثل صورة قدوم الامام عمر على بيت المقدس فانهُ لم يكن هناك مصورون صوروا قدومهُ ولا كان التصوير الشمسي معروفاً · وقدوم الامام عمر على الشكل الذي ذكرهُ الواقدي من الحوادث المشكوك في صحتها ويكفي الاطلاع على رواية الواقدي للاستدلال على انها موضوعة مثل اكثر ما ذكرهُ

وحبذا لو تمكَّن المؤلف من مضاهاة تواريخ العرب بتواريخ الافرنج القديمة ونشر خلاصة ما ذكرهُ الفريقان حيث يختلفان فان حقيقة التاريخ لا تظهر الاَّ بمثل هذا التمحيص ولا نقول ذلك لاننا نستخف المتاعب والمشاق التي تكبدها حضرة المؤلف في جمع كتابهِ بل لان التاريخ لا يفيد الفائدة المطلوبة ما لم يجرَّد من كل ما لا صحَّة لهُ ويقتصر فيهِ على ذكر الحوادث كما حدثت تماماً مع ذكر مقدماتها ونتائجها والاحوال التي حدثت فيها

وقد اهدى المؤلف كتابهُ الى حضرة الوجيه الخواجه بشرى حنا ميخائيل وصدَّرهُ برسمهِ فنثني على همتهِ واجتهادهِ

محمَّد علي

رواية تاريخيَّة غراميَّة تشتمل على سيرة محمد علي باشا مؤسس العائلة الخديويَّة من أول نشأتهِ الى ان قبض على ازمة الحكومة المصريَّة تأليف مهلباخ الالماني وقد ترجمها من الانكليزيَّة الى العربيَّة حضرة الكاتب المجيد نسيب افندي المشعلاني وطبعت على نفقة ادارة الهلال واهديت الى المشتركين فيهِ

والرواية حسنة السبك مبنيَّة على حوادث تاريخيَّة صحيحة ولو ذكرت فيها مزوَّقة كما تقتضيهِ كتابة الروايات . ويكاد تاريخ محمد علي كلهُ يكون من هذا القبيل لكثرة ما فيهِ من الحوادث الغريبة

جيولوجية الصحراء الشرقية

GEOLOGY OF THE ESTERN DESERT OF EGYPT

لمصلحة المساحة اعمال جليلة في هذا القطر من حيث تخطيطهُ والبحث في بنائهِ واحداثهِ الجويَّة . ولا تمرُّ سنة الاَّ وتتحفنا بكتب جليلة في هذه المواضيع ومن ذلك هذا الكتاب ومدارهُ على جغرافية الصحراء الشرقيَّة وجيولوجيتها ومعادنها. والمعادن التي جرى البحث عنها هي الذهب والنحاس والحديد والكبريت

فالذهب موجود في عروق الكوارتز وهي اما من الحجر المنضد (شست) او الحجر المحدَّد (ديوريت) او الحجر الاصواني

والنحاس في شكل الكربونات والكلوريد الخ يوجد في الحجر المنضدد والغنس وكان يستخرج سابقاً من ابسيل وابي حمامد

والحديد راسب في وادي الجو قرب ساحل جبل حمانا

والكبريت موجود في جص الرنجا قرب المكان المتقدم ذكرهُ

والخرائط كثيرة في هذا التقرير وبعضها ملون بالوان تدل على انواع الاتربة والصخور وتنبئُ عن فرط الهمَّة التي بذلها رجال المساحة في مسح الاراضي والبحث عن اتربتها وصخورها ورسم كل ذلك بالدقة ليكون مرشداً للذين يريدون البحث عن معادن تلك البلاد وطرقها وآثارها ونحو ذلك مما لا بدَّ من معرفتهِ اذا أُريد استثمار خيراتها

شبه جزيرة سينا

جغرافيتها وجيولوجيتها

THE TOPOGRAHAY AND GEOLOGY OF THE PENINSULA OF SINAI

هذا الكتاب اكبر من الاول واكثر خرائط. ومدارهُ على القسم الجنوبي الشرقي من بلاد سينا فيهِ صور كثيرة فوتوغرافية الاصل يبين منها شكل البلاد الظاهر وما ينبت فيها من الاشجار والانجم وما فيها من العراقيب والصحاري والاماكن الموحشة وانواع نباتاتها وقد ذكرت اسماؤُها العربيَّة احياناً مكتوبة بحروف افرنجية ويا حبذا لو كتبت بحروف عربيَّة ومن ذلك النعمان والسليح وهما من فصيلة الخشخاش . والرحمي وهو من الفصيلة الصليبيَّة والموجود منهُ الرحمي المستشيب Morettia canescens والغمغم (وهو المنثور العربي Matthiola Arabica)

واسماء النبات كثيرة ملأَت ٢٧ صفحة وهذا كلهُ لا يعدُّ شيئاً مذكوراً بالنسبة الى الخرائط الكبيرة التي تظهر فيها حدود البلاد وارتفاعاتها وما فيها من الجبال والوهاد والمسالك والآثار ثم الخرائط الملونة بالوان تدل على انواع تربتها وصخورها. وهذان الكتبان اثران جليلان من آثار مصلحة المساحة يشهدان لجناب الدكتور هيوم واضعهما بعلو الهمة وسعة العلم

سير مصلحة البوسطة المصرية

POSTAL TRAFFIC IN EGYPT

اصدرت مصلحة الاحصاء تقريراً مسهباً عن سير مصلحة البوسطة المصرية منذ سنة ١٨٨٠ الى سنة ١٩٠٦ مستخرجة ذلك من تقارير مصلحة البوسطة السنوية فجاء خزانة فوائد يرجع اليها في البحث عن ارتقاء القطر المصري الادبي والمادي مدة ٢٧ سنة. وقد زاد دخل مصلحة البوسطة في هذه المدة من نحو ٨٠ الف جنيه الى نحو ٢٣٧ الف جنيه وزاد عدد المراسلات من خمسة ملايين و ٥٥٢ الفاً الى ٣٦ مليوناً و ٩٧٠ الفاً وعدد المراسلات الخارجيَّة من مليونين و ٦٨٨ الى ٢١ مليوناً و ٣٠ الفاً. واكثر معاملاتنا الآن مع البلاد الانكليز فان عدد المراسلات الصادرة اليها والواردة منها بلغ في العام الماضي اكثر من خمسة ملايين ونصف وتتلوها فرنسا فان عدد المراسلات الصادرة اليها والواردة منها بلغ ٣ ملايين و ٦٦١ الفاً ثم تركيا وعدد المراسلات الصادرة اليها والواردة منها بلغ مليونين و ١٢١ الفاً

* * *

باب الاخبار العلمية

اهداء الماسة الكبرى

ستبتاع حكومة الترنسفال الماسة الكبرى المعروفة بماسة كلينن وتهديها الى ملك الانكليز اعترافاً بفضلهِ في منح الترنسفال حكومة دستورية مستقلة في شؤُنها الداخلية. وقد وصفنا هذه الماسة وصوَّرناها في المقتطف حين اكتشافها سنة ١٩٠٥ (انظر المجلد الثلاثين صفحة ٤٤١) وهي اكبر ماسة وُجدت حتى الآن طولها اربع بوصات وعرضها نحو بوصتين ونصف وثقلها نحو ٣٠٢٥ قيراطاً اي نحو رطل ونصف وجدت في منجم برمير قرب برتوريا على هذه الصورة :—

كان احد نظار المنجم يمشي في ارضهِ

وكان الوقت نحو الغروب فرأى اشعة الشمس تنعكس من نقطة تعلو عن ارض المنجم نحو ١٨ قدماً فتسلق الجدار الى ان وصل الى حيث رأى الاشعة المنعكسة فوجد هناك جانباً من ماسة كبيرة بارزاً من الجدار فحفر عنها بسكينهِ واستخرجها واذا هي اكبر ماسة رأتها عين انسان وسميت باسم كلينن وهو اسم مكتشف ذلك المنجم مع ان اسم مكتشفها ولْس Wills ويقال انها اجمل ماسة واصفى ماسة كما انها اكبر ماسة . وقد ارسلت الى قصر بكنهام فرآها الملك والملكة واعجبا بها . ولا تزال في حالتها الطبيعيَّة حتى الآن ويقدَّر ثمنها بمئة وخمسين الف جنيه ولحكومة الترنسفال ستة اعشار هذا الثمن بحق شرعي فيبقى عليها ان تدفع ستين الف جنيه من الثمن وستدفعها في اربعة اقساط سنويَّة

نفقات السلاح

انفقت دول اوربا (ماعدا تركيا) والولايات المتحدة واليابان ٢٥١ مليون جنيه سنة ١٨٩٨ على التسليح اي على سلاح الجنود وبناء السفن الحربيَّة وانفقت هذه الدول نفسها ٣٢٠ مليون جنيه سنة ١٩٠٦ على التسليح

الهبات للمدارس الجامعة

المدارس الجامعة في البلاد الانكليزيَّة لا تنفق عليها الحكومة ولكنها تساعدها مساعدة فتهبها كل سنة مبلغاً من المال لتستعين بهِ على نفقاتها وقد وهبتها هذه السنة المبالغ التالية

جنيه	
١٠٠٠٠	لمدرسة لڤربول الجامعة
١٠٠٠٠	لمدرسة منشستر الجامعة
١٠٠٠٠	للمدرسة الجامعة بلندن
٠٩٠٠٠	لمدرسة برمنهام الجامعة
٠٨٠٠٠	لمدرسة ليدز الجامعة
٠٧٨٠٠	لمدرسة الملك الكلية بلندن
٠٦٠٠٠	لمدرسة ارمسترنج الكلية بنيوكاسل
٠٥٠٠٠	لمدرسة نوتنام الجامعة
٠٥٠٠٠	لمدرسة شفيلد

وهلمَّ جرًّا الى ان بلغت الهبات كلها ٨٥ الف جنيه

الثروة من عمل المخللات

توفي بالامس رجل ببلاد الانكليز اسمهُ بلاكول عن ثروة تبلغ نحو مليون جنيه كسبها كلها من عمل المخللات

عدد التفاليس

لقد راجت الاعمال في العام الماضي في البلاد الانكليزيَّة ومتعلقاتها فزادت المكاسب وقلت التفاليس والخسائر كما يظهر من تقرير الحكومة الانكليزيَّة في هذا الصدد الذي نشر في اواخر شهر اغسطس الماضي فقد ذكر فيهِ عدد التفاليس والخسائر التي لحقت

الناس بسببها في السنوات الثلاث الماضية وهو كما ترى في هذا الجدول

	١٩٠٤	١٩٠٥	١٩٠٦
عدد التفاليس	٨٦٣١	٨٦٠٣	٨٠٧٧
القيمة بالملايين	١٢,٠	٠٩,٦	١٠,١
خسائر المداينين	٠٩,٣	٠٧,٦	٠٧,٩

فخسائر السنة الماضية اقل من متوسط خسائر السنتين السابقتين والناس عموماً في سعة لم يروا لها مثيلاً منذ عهد طويل

اقوال حكمية

الحياة قصيرة ولكنها تكفي لعمل ما يجب علينا عملهُ وانما نتخذ قصرها حجة لاخفاء كسلنا . فان من لا يُطلَب منهُ عمل لا يجد وقتاً للعمل

الزوجة الفقيرة تشمخ على زوجها اكثر من الزوجة الغنيَّة

التملُّق خداع ولكنهُ يرضي المتملَّق اذا جاء في سبيلهِ

العلم العالي نافع لابناء العمال ولكنهُ يخرجهم من مصاف العمال

اكبر الحانات

لما كان مجتمع تقدُّم العلوم البريطاني يبحث في مضار المسكرات كان اهالي غلاسكو ينتظرون افتتاح اكبر حانة في الدنيا فقد انشأ فيه بيت جمس بوكنان وشركائهِ حاناً او مخزناً للمسكرات يسع مليوناً و ٣٢٠ الف زجاجة من الوسكي وفيهِ حوضان كبيران للوسكي يسع كلٌّ منهما عشرين الف جالون واذا افرغ ما في هذه الزجاجات وهذين الحوضين ملأ بحيرة كافية لان تعوم فيها بارجة من اكبر البوارج الانكليزية . وفي هذا الحان الف عامل يبيع كلٌّ منهم خمس مئة الف زجاجة في السنة وتقدر الضريبة التي يدفعها للحكومة الانكليزية في السنة بمليون ونصف من الجنيهات . فكيف تقوى حفنة من الاطباء مع اقناع الناس بالامتناع عن المسكرات وتجارها والمكتسبون منها يعدون بمئات الالوف

المغالاة بالكتب القديمة

بلغ ثمن الكتب القديمة التي بيعت بلندن في الربيع الماضي ١٣٠٠٠٠ جنيه من ذلك نسخة من اشعار شكسبير من الطبعة الاولى التي طبعت في انقرس بيعت في شهر مارس الماضي بمبلغ ٣٦٠٠ جنيه. وبيعت نسخة ثانية من هذه الطبعة عينها في شهر يونيو بمبلغ ٢٤٠٠ جنيه . وبيع ثلاثة دفاتر صغيرة كان الشاعر شلي يكتب فيها بعض الملاحظات بمبلغ ٣٠٠٠ جنيه . ونسخة من كتاب فنسن ده بوڤه المرآة التاريخيَّة Le Miroir Historiale بمبلغ ١٢٩٠ جنيهاً ونسخة من كتاب المنازعات بين بيت لنكستر وبيت يورك بمبلغ

١٩١٠ جنيهات . ونسخة ثالثة من اشعار شكسبير بمبلغ ١٥٥٠ جنيهاً

مراكش الحمراء

هي اكبر مدائن المغرب الاقصى يحيط بها سور ارتفاعهُ نحو ثلاثين قدماً فيهِ كثير من الابراج المربعة ولهُ سبعة ابواب وطولهُ سبعة اميال على دائرهِ ويحيط بالمدينة بساتين كثيرة وغابات النخيل . ولون السور والمباني احمر ولذلك سميت مراكش الحمراء . عدد سكانها يقدَّر بين اربعين الفاً ومئة الف . ويقال انهُ كان فيها في زمن عزها سبع مئة الف نفس . وفي وسطها سوق مسقوفة فيها اكبر مخازن الاوربيين . وهي من المدن القديمة فقد ذكر انها حوِّطت بسور منذ نحو ثمانمئة سنة

معرض التصوير الشمسي

فتح معرض التصوير الشمسي السنوي ببلاد الانكليز في الشهر الماضي (سبتمبر) وبقي مفتوحاً الى السادس والعشرين منهُ ومن اخص مزاياهُ الصور الفوتوغرافيَّة الملونة التي صورها بيت لومير حسب طريقتهم المشروحة في هذا الجزء في باب الصناعة وقد نالوا عليها نشان المعرض . ومنها صور المريخ الفوتوغرافيَّة التي تظهر فيها ترعهُ وقد صورت منذ شهرين في مرصد لول باميركا كما ابنا في الشهر الماضي

الانفاق على العلم

الانفاق على العلم غير الانفاق على التعليم ويراد بهِ الانفاق على المباحث العلميَّة مثل التجارب الزراعية والبحث في الارض لمعرفة بنائها ومعادنها وجمع الارصاد الجويَّة والبحث عما في الاطعمة من الغذاء ونحو ذلك مما تعود نتائجهُ بالفائدة على البلاد بنوع عام وعلى توسيع المعارف العلمية بنوع خاص . وقد قابلت جريدة ناتشر بين ما عينتهُ الحكومة الاميركية هذه السنة للانفاق في هذا السبيل وما عينتهُ الحكومة الانكليزيَّة فاذا مجموع المبالغ التي عينتها الحكومة الاميركية ٢٧٤٠٣٦٠ ومجموع المبالغ التي عينتها الحكومة الانكليزيَّة ٢٤٢٨٦٣ فقط اي اقل من عشر المبالغ التي عينتها الحكومة الاميركية مع ان دخل الحكومة الانكليزيَّة السنوي ١٤٤ مليون جنيه ودخل الحكومة الاميركية ١٥٢ مليون جنيه

البلون الحربي الانكليزي

لم يشإِ الانكليز ان يقصّروا عن الفرنسويين والالمانيين في عمل البلونات الحربيَّة فصنعوا بلوناً كبيراً اسطواني الشكل طولهُ نحو مئة قدم وقطرهُ ٣٠ قدماً وعلقوا بهِ مركبة فيها آلة محركة ووضعوا في المركبة دفة لها ست مراوح . وجربوهُ فاذا ادارتهُ في الهواء سهلة وسرعتهُ ١٧ ميلاً في الساعة

بركان جديد

ورد من ستل في الشمال الغربي من اميركا الشماليّة انهُ ثار هناك بركان جديد في اليوم الاول والثاني من سبتمبر وثورانهُ هذا هو سبب الحركة التي ظهرت في آلة رصد الزلازل بوشنطون عاصمة الولايات المتحدة

اكبر السفن واسرعها

بنت شركة الكنارد سفينة لم يبنَ اكبر منها حتى الآن ولا اسرع فان طولها ٧٨٥ قدماً وعرضها ٨٨ قدماً وعمقها ٦٠ قدماً وتفريغها ٤٥ الف طن وقوة آلاتها البخارية ٦٨ الف حصان وقد قطعت المسافة من اوربا الى اميركا وهي ٢٧٨٢ ميلاً في خمسة ايام و ٥٤ دقيقة وكان متوسط سرعتها ٢٣ ميلاً بحريًّا وجزءا من مئة من الميل في الساعة واشد ما بلغتهُ من السرعة ٢٦ ميلاً بحريًّا ونصف ميل في الساعة وهي تسع ٢١٩٨ راكبًا وتحمل ١٥٠٠ طن من البضاعة

جثة الملك منفتاح

كان في دار التحف المصريَّة جثة محنطة ملفوفة بلفائفها ظنَّ المسيو مسبرو انها جثة الملك منفتاح بن الملك ستي الكبير وقد فك الدكتور اليوت سمث اللفائف عن هذه الجثة فظهر من الكتابات التي على اللفائف ومن اسلوب التحنيط ان ظن المسيو مسبرو في محلهِ ويظهر من هذه الجثة ان الملك منفتاح كان طويل القامة (طولهُ متر و٧١ سنتيمترًا) بدين الجسم اصلع الرأس . والمظنون انهُ هو الفرعون الذي يقال انهُ تبع بني اسرائيل وغرق في البحر الاحمر

معرض طوكيو

تنوي اليابان ان تقتدي بالممالك الكبيرة وتقيم في عاصمتها معرضاً كبيرًا عامًّا وقد قدرت نفقات اقامتهِ مليونيْ جنيه ورضيت الحكومة اليابانية ان تدفع نصفها

الكهربائية لباريس

عرض ثلاثة من المهندسين ان يقيموا سدًّا في وادي الرون ويولدوا من ذلك قوة كهربائية كافية لمدينة باريس وما فيها من المركبات . وتقدَّر نفقات هذا العمل بمليونين واربع مئة الف جنيه

جامعة الجزائر

ارتأى حاكم بلاد الجزائر ان تنشأ فيها مدرسة جامعة مثل المدارس الجامعة الاوربيَّة تكون واسطة لاتحاد الشعوب الساكنة في تلك البلاد وقد اشار بذلك المسيو مواسان قبل موتهِ والاستاذ بوشار حينما امتحنا المدارس الثانوية في بلاد الجزائر ولا يبعد ان ترى افريقية الجامعة الجزائرية قبلما ترى الجامعة المصريَّة

نبات اللستك

اكتشف نبات في غربي افريقية لهُ جذور كبيرة كجذور اللفت فيها مادة لبنيَّة تجمد وتصير لستكا وهو يزرع في الارض كما يزرع اللفت وتبلغ غلة الفدان منهُ ١٨٠ رطلاً من اللستك في سنتين

البنيتو

وجد في سان بنيتو بكليفورنيا حجر كريم لم يكن معروفًا من قبل ازرق شفاف صلب فيهِ بنفسجية قليلة اذا أُحمي صار لونهُ احمر ساطعًا واذا برد عاد الى لونهِ الازرق وقد أُطلق عليهِ اسم بنيتو باسم المكان الذي وجد فيهِ

كهف هندي قديم

وجد في جبال كليفورنيا كهف قديم فيهِ غرف كبيرة جدًّا على جدرانها رسوم تمثل هنود اميركا وهم يصطادون الدب والغزال ونحوهما من الحيوانات ومن ذلك صورة تمثل الدب وهو جاد في اثر الصيَّاد

دواء داء النوم

اثبت المستر جمس برند ان الحقن تحت الجلد بمذوب ازرق المثيلين والسليماني يشفي الخيل من مرض التريبانسوم وهو مثل داء النوم الذي يصيب الناس ولذلك ظن انهُ يشفي ايضًا من داء النوم مثل الاتوكسيل

جمعية الصليب الابيض

أُلفت في جنيفا عاصمة سويسرا جمعيَّة سميت جمعيَّة الصليب الابيض غايتها ان تنتشر في العالم لمقاومة السل والسرطان والامراض الوبائيَّة على انواعها والشرور العموميَّة كالسكر ونحوهِ وهي مثل جمعية الصليب الاحمر التي يساعد اعضاؤُها جرحى الحروب

التعليم في اليابان

لما نشبت الحرب بين الروس واليابان واضطرَّت اليابان ان تبذل كل قوتها وتنفق كل اموالها على الحرب نشر امبراطور اليابان منشورًا طلب فيهِ من رعاياهُ ان يضاعفوا هممهم في تعليم اولادهم ولا يقللوا شيئًا من نفقات التعليم . وقد كان عدد اولاد المدارس في بلاد اليابان سنة ١٨٧٣ ثمانية وعشرين في المئة من كل الاولاد الذين في سن التعلُّم ذكورًا واناثًا . فبلغوا في زمن الحرب ٩٧ في المئة من الصبيان ونحو ٩٢ في المئة من البنات . وجملة الصبيان والبنات الذين كانوا في المدارس حينئذٍ بلغ ٧٥٥١٤٤٥ اي اكثر من سبعة ملايين ونصف وبلغ عدد الطلبة في مدرسة طوكيو الجامعة ٣٥٠٠ وفي مدرسة كيوتو الجامعة ١٣٠٠ . وانت ترى من ذلك ان الاهتمام بالتعليم قديم في بلاد اليابان

فان نحو ثلث السكان كانوا يحسنون القراءة والكتابة منذ اربع وثلاثين سنة . فلا يتعذر على اناس هذا شأنهم ان يجعلوا التعليم اجبارياً للذكور والاناث لان عندهم العدد الكافي من المعلمين والمعلمات

الاستاذ كارل ڤوجل

الاستاذ كارل ڤوجل مدير مرصد بوتسدام من اكبر علماء الفلك واشهر الباحثين بالسبكتروسكوب والذين لهم اليد الطولى في اتقان هذه الآلة واستخدامها للمباحث الفلكية تولى ادارة مرصد بوتسدام منذ سنة ١٨٧٤ وبقي في ادارتهِ الى ان ادركتهُ الوفاة في ١٣ اغسطس الماضي

مؤتمر الطب الفرنسوي

يعقد هذا المؤتمر في باريس من ١٤ الى ١٦ اكتوبر برئاسة الاستاذ دبوف ومن المسائل التي يبحث فيها اصل السل الرئوي وفعل الراديوم الطبي وفعل التوبركولين والعلاج بالمصل في الدوسنطاريا

المؤتمر الصحي العام

يعقد هذا المؤتمر في مدينة مكسكو من ٢ الى ٧ ديسمبر المقبل ومن المواضيع التي يبحث فيها انتقال الامراض المعدية كالطاعون والحمى الصفراء والكوليرا والملاريا والتراخوما

النبات تحت الشجر

من الامور المتعارفة انهُ اذا زرع زرع تحت الشجر فاما انهُ لا ينمو جيداً او انهُ ينمو ويضعف الشجر وقد كثر الخلاف في سبب ذلك واتضح اخيراً ان المزروعات والاشجار التي تنمو في الارض يتولَّد من جذورها مواد سامة تضرُّ ما يزرع معها من انواع النبات المخالفة لها والقوي منها يتغلب على الضعيف وهذا سبب ضعف المزروعات التي تزرع تحت الاشجار او ضعف الاشجار التي تزرع تحتها المزروعات

الصور الملونة الكبيرة

استعملت طريقة لومير في التصوير الشمسي الملون لتصوير الميكروبات ونحوها مكبَّرة من ٣٠ قطراً الى الف قطر فظهرت الصور واضحة ملونة كما ترى بالميكرسكوب

السفن الكبرى

تزداد قوة السفن التجارية عاماً فعاماً فقد كانت قوة آلات السفينة الكبرى سنة ١٨٧٨ ٧٦٥٠ حصاناً وكانت سرعتها ١٤ ميلاً بحرياً في الساعة فبلغت قوة السفينة الكبرى سنة ١٨٨٨ عشرين الف حصان وسرعتها ٢٢ ميلاً بحرياً وسنة ١٨٩٧ ثلاثين الف حصان وسرعتها ٢٢ ميلاً ايضاً والآن بلغت قوة آلات السفينة الكبرى ٦٨ الف حصان وسرعتها نحو ٢٦ ميلاً بحرياً

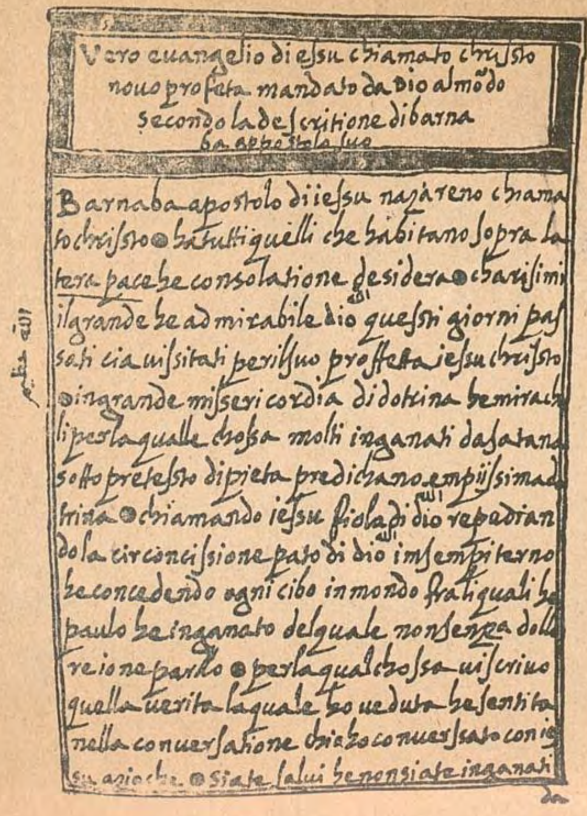

الله عظيم

Vero euangelio di iesu chiamato christo
nouo profeta mandato da dio al mõdo
secondo la descritione di barna
ba apostolo suo

Barnaba apostolo di iesu nazareno chiama
to christo ● ha tutti quelli che habitano sopra la
terra pace he consolatione desidera ● charissimi
il grande he admirabile dio questi giorni pas
sati cia uissitati per il suo proffeta iesu christo
● in grande missericordia di dotrina he miracu
li per la qualle chossa molti inganati da satana
sotto pretesto di pieta predichano empiissima d
otrina ● chiamando iesu fiolo di dio repudian
do la circoncissione pato di dio in sempiterno
he concedendo ogni cibo in mondo fra liquali he
paulo he inganato del quale non senza dollo
re io ne parlo ● per la qual chossa ui scriuo
quella uerita la quale ho ueduta he sentita
nella conuersatione chi ho conuerssato con ie
su azio che ● siate salui he non siate inganati
da

الصفحة الاولى من انجيل برنابا

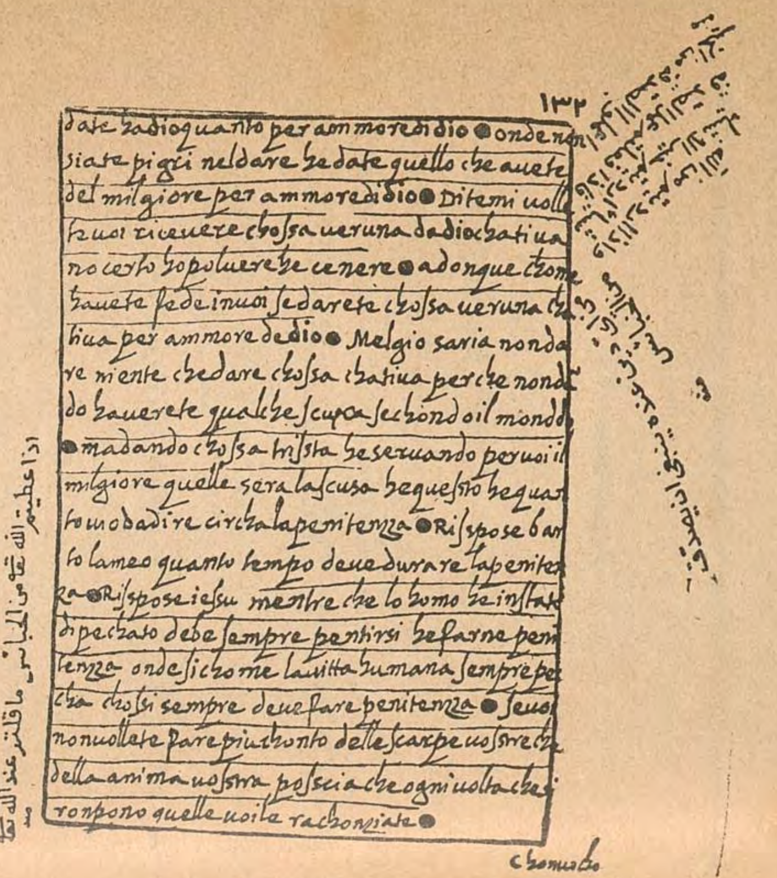

اذا عطيتم الله تعا من الخبائث ما قلتم عند الله تعا

١٣٢

date ha dio quanto per ammore di dio ● onde non
siate pigri nel dare he date quello che auete
del milgiore per ammore di dio ● Ditemi uoll
e uoi riceuere chossa ueruna da dio chatiua
no certo ho poluere he cenere ● adonque chome
hauete fede in uoi se darete chossa ueruna cha
tiua per ammore de dio ● Melgio saria non da
re niente che dare chossa chatiua perche non da
do hauerete qualche scusa sechondo il mondo
● ma dando chossa trista he seruando per uoi il
milgiore quelle sera la scusa he questo he quan
to ho da dire circha la penitenza ● Risspose bar
to lameo quanto tempo deue durare la peniten
za ● Risspose iesu mentre che lo homo he in stato
di pechato debe sempre pentirsi he farne peni
tenza onde sichome la uitta humana sempre pe
cha chossi sempre deue fare penitenza ● Se uoi
non uollete fare piu chonto delle scarpe uostre che
della anima uostra possia che ogni uolta che
ronpono quelle uoi le rachonziate ●

Chomado

من الخبائث دين عنده ينبغي ان يصدق

الصفحة ١٣٤ منه

فهرس الجزء العاشر من المجلد الثاني والثلاثين

٧٧٧ اسابيا بلاديئو

٧٨٢ مضار الخمور

٧٨٥ الشِعر . ر ٠ ن

٧٨٩ حكم وامثال من التلمود . للدكتور يوحنا ورتبات

٧٩٤ تأثير المدارس في العيون (مصوَّرة)

٨٠٢ طيران الانسان

٨٠٦ ضعف الرجال امام المال

٨١٤ هنيبال . ر ٠ ن (مصوَّرة)

٨٢٣ التقمص ٠ م ٠ ن

٨٢٧ الحروب ومعداتها

٨٣٢ الرحلة الحديثة (مصوَّرة)

٨٤٢ الذاكرة وتقويتها

٨٤٤ باب تدبير المنزل * الحمام · الاستحمام بماء البحر · غرف النوم · البورق في البيت · صقل النحاس الاصفر · ادوية البيت

٨٤٩ باب الزراعة * زرع التبغ في القطر المصري · زراعة التبغ في الفيلبين · موسم القطن

٨٥٤ باب الصناعة * التصوير الشمسي الملوَّن

٨٥٩ باب التقريظ والانتقاد * الدليل · تاريخ دول الاسلام · محمد علي · جيولوجية الصحراء الشرقية · شبه جزيرة سينا · سير مصلحة البوسطة المصرية

٨٦٥ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ٣٠ نبذة

رواية اميرة انكلترة ملحقة بالمقتطف